إسـعاد المؤمن الصبور وإغاظة الآثم الكفور

بترجمة الشـيخ المجاهد رفاعي سرور

رفاعي سرور

جمـــع و ترتيـــب : أبـــي الـوليـــد الحنـفـــي

محرم 1443 هـ

- إلى آل الشيخ رفاعي سرور جميعا؛ صغيرهم وكبيرهم، أسيرهم وطليقهم، حيهم وميتهم، ذكرهم وأنثاهم، قريبهم وبعيدهم، معافاهم ومبتلاهم..

صبرا آل الشيخ رفاعي فإن سنة الله أن بعد العسر يسرا وبعد الضيق فرجا وبعد المحنة منحة وبعد الشدة رخاء.

- إلى الشيخ البصير بمكر أعداء الإسلام، الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل.

- إلى الشيخ الثائر على الطواغيت الرافض للخنوع والذل، الشيخ صفوت حجازي وإخوانه الكرام، الذين حكم عليهم القضاء الطاغوتي بالإعدام.

- إلى تلامذة الشيخ وطلابه، وأخص منهم الشيخين: حسام أبو البخاري وخالد الحربي.

ستكسر القيود، وتفتح السجون، وتسقط الطواغيت، ويخزى المداهنون، ويعرى المنافقون، وينتصر الصادقون، ويعلي الله شأن الصادقين، ويعوض المعذبين والمحرومين، وتقر أعين المؤمنين، وعسى أن يكون ذلك قريبا.

المقدمة

الحمد الله الذي جعل العلماء ورثة الأنبياء، ورفعهم درجات، وجعل الملائكة تضع أجنحتها رضا بما يصنعون، وألهم حيتان البحر الاستغفار لهم، وأوجب عليهم تبيان الحق للناس، ونهاهم عن كتمانه، وحذرهم من التفريط به وإضاعته بعرض من الدنيا قليل تافه، والصلاة والسلام على خير معلمي الناس الخير؛ محمد الذي أرشد الناس إلى الحق، واستخرجهم بإذن ربهم من الظلمات إلى النور، وصدع بأمر ربه، وأعرض عن المشركين، وجاهدهم في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين من ربه، ورضي الله عن صحابته الأخيار، النجباء الأطهار، الذين ساروا على نهجه واقتفوا أثره وبلغوا دينه وقاتلوا عليه أصناف الكفرة والمنحرفين، ومرغوا أنوفا طالما استعلت وتكبرت واستعبدت عباد الله وسامتهم سوء العذاب.. وبعد؛

فإن الله تبارك وتعالى قد تكفل بحفظ هذا الدين من النقص والزيادة والتحريف وتلاعب أهل الأهواء والأحقاد، فهيأ لذلك رجالا علموا ما عند الله من الأجر والثواب فزهدوا في هذه الدنيا الفانية الحقيرة ولم يستخفهم بريق ذهب الطغاة، وعلموا ما عند الله من العذاب لمن عصاه والعقاب فلم يبالوا بسيوف أهل الباطل ولا بسجونهم، وقالوا: (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)، وعلموا نعم الله عليهم وفضله وكرمه وجوده فعصمهم الله بذلك من العُجب والمنِّ عليه بعملهم فلم ينظروا إلى ذلك إلا بعين النقص والحياء من الله، وعلموا ما بذله المصطفى عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام من الجهود العظيمة لحفظ دين الله وتبليغه فآلوا على أنفسهم أن يسيروا على خطاهم ويتبعوا سبيلهم، ووطنوا أنفسهم على تلقي البلاء والمحن والشدائد والصعاب.

وإن من هؤلاء الرجال القلائل في هذا العصر الشيخ رفاعي سرور -نحسبه والله حسيبه ولا نزكيه على الله-؛ فرأيت إرضاء لله، ثم وفاء لحق الشيخ، وإكراما لإخوانه، وإسعادا لطلبة العلم، وإرغاما للشيطان وأوليائه من أصحاب الأقلام المأجورة والضمائر الممسوخة والعقول العفنة والألسن الكاذبة، رأيت جمع سيرته ونشرها لعلها تكون

لـي ذخـرا يـوم القيامـة، وأسـأل الله أن يجعلهـا خالصـة لوجهـه بمنـه وكرمـه، وأن يثبتنـا على الحـق حتـى نلقـاه.

والحقيقـة أنـي لـم أعـرف الشـيخ رفاعـي إلا في الثلـث الأخيـر مـن عـام 2014م، فقـد كنـت طلبـت مـن الشـيخ أبـي يـزن الشـامي رحمـه الله -وكان وقتهـا أميـر حركـة أحـرار الشـام الإسـلامية في حلـب- أن يخـص المكتـب الدعـوي لأحـرار الشـام بـدرس أسـبوعي، فوافـق على ذلـك وقـرر أن يكـون الكتـاب هـو التصـور السياسـي للحركـة الإسـلامية للشـيخ رفاعـي سـرور، وكانـت هـذه هـي المـرة الأولـى التـي أسـمع فيهـا بالكتـاب وبمؤلفـه، وعقـد المجلـس الأول في قلعـة سـمعان في ريـف حلـب الغربـي، وللأسـف فقـد كان هـذا المجلـس يتيمـا فقـد استشـهد الشـيخ أبـو يـزن مـع ثلـة مـن قـادة الأحـرار في التفجيـر الغامـض في قريـة رام حمـدان في ريـف إدلـب.

ثـم عـرض علينـا الأخ الحبيـب الشـيخ أحمـد سـالم البـدراوي أن يكمـل معنـا مـا بدأه الشـيخ أبـو يـزن، فتـم ذلـك، وكنـا نعقـد المجالـس أحيانـا في مسـجد البيَّاضـة (الصـروي) في حلـب القديمـة أو في حـي السـكري في بعـض بيـوت الإخـوة، وأظـن أننـا قرأنـا مـع الشـيخ البـدراوي قرابـة نصـف الكتـاب ولـم نكملـه، ثـم أتممتـه بعـد ذلـك وحـدي، ومـرت الأيـام فوجـدت أن أعـداء الحـق وأنصـار الباطـل يسـعون سـعيا حثيثـا لضـرب رمـوز الأمـة وعلمائها الصادقيـن الربانييـن ويعملـون ليـل نهـار على تشـويه صورتهـم وتنفيـر النـاس منهـم، ويأبـى الله إلا أن يحـق الحـق ويبطـل الباطـل ولـو كـره المجرمـون والأفاكـون والمفتـرون.
ومـن جميـل مـا قرأتـه في هـذا المعنـى مـا كتبـه بعضهـم: قبـل ثـورة يناير كان الشـيخ رفاعـي سـرور معروفـا في أوسـاط نخبويـة محـدودة مـن الإسـلاميين...، وبعـد الثـورة وبـروز اسـمه في العمـل العـام ونشـاط عـدد مـن محبيـه على وسـائل التواصـل الاجتماعـي تزايـدت شـريحة مـن يعرفونـه ويقـرأون كتبـه، الآن في ظـل التشـويه الكاسـح الـذي يتعـرض لـه الشـيخ رفاعـي أتوقـع أن يتسـبب ذلـك في تعريـف شـرائح أوسـع بـه مـع انتشـار أكبـر لكتبـه؛ فالعديـد مـن الشـباب المثقـف والعاقـل سـيحرص على الاطـلاع على مـا كتبـه الرجـل، وعندئـذ سـيجد تنظيـرات عميقـة وراقيـة في مجـالات متنوعـة بعيـدة عـن الغلـو أو الشـطط كمـا في كتابيـه (بيـت الدعـوة)، و(حكمـة الدعـوة).

وقـد عزمـت على جمـع ترجمـة الشـيخ رفاعـي رحمـه الله، فقـد جعـل الله لـه محبـة في قلـوب عبـاده، ولعـل لدعـاء جدتـه أثـرا في ذلـك، فقـد كتبـت ابنتـه رقيـة: كان لأبـي جـدة مـن المعمريـن، وقـد احتضنـت أبـي وأصحابـه في أوقـات الاضطهـاد العنيفـة في الثمانينـات، ومـع أنهـا كانـت طاعنـة في السـن إلا أنـه كان لهـا رأي سياسـي تناقشـهم وتتفـق أو تختلـف معهـم وهـي تخبئهـم وتكفلهـم في دارهـا الريفـي الرائـع، وفي إحـدى ليالـي العشـر الأخيـر مـن رمضـان رأت النـور يمـلأ السـماء، فارتعـدت واجتهـدت في الدعـاء، وحكـت ذلـك لأبـي، فقـال لهـا : بـم دعوتـي يـا حاجـة؟، فقالـت لـه : قلـت: ربنـا يحبـب فيـك خلقـه.

وقد اعتمدت في تدوين سيرته المصادر التالية:

- مـا نشـره ابنـه عمـر مـن أخبـاره عبـر قناتـه على التليجـرام أو في حسـابه على الفيـس بوك .
- ما نشرته ابنته ولاء من أخباره عبر حسابها على الفيس بوك.
- ما نشرته ابنته رقية عبر حسابها على الفيس بوك.
- كتب الشيخ رفاعي سرور ومقالاته، وقد ذكرتها تحت عنوان آثاره ومؤلفاته.
- شهادة أحد إخوانه، وهو الشيخ أبو حسام المصري.
- موقع طريق الإسلام.
- كتاب رحلة إيمانية لرجال ونساء أسلموا.
- لقـاء للمهنـدس وسـام عبـد الـوارث اسـتضاف فيـه الدكتـور طـارق الزمـر والدكتـور عبـد الله الأسـود والشـيخ حسـام أبـو البخـاري، في حلقـة خاصـة على قنـاة الحكمـة بعنـوان: وفـاء للشـيخ رفاعـي سـرور.
- عـدد مـن المقاطـع المرئيـة في اليوتيـوب في قنـاة يقيـن لعـدد مـن المشـايخ وهـم يرثـون الشـيخ رفاعـي ويعـزون بـه.
- قناة الشيخ رفاعي سرور على اليوتيوب.

تنبيـه هـام: في نقـل كلام الشـيخ رفاعـي وأولاده ونقـل كلام المشـايخ المعزيـن فيـه والمثنيـن عليـه اضطـررت إلـى تصـرف يسـير فيـه لتحويلـه مـن العاميـة إلـى الفصحـى

وحـذف بعـض الكلمـات المكـررة وعثـرات اللسـان وتقويـم الأخطـاء النحويـة التـي تجـري عـادة سـهوا في الـكلام الشـفهي أو المنشـورات المكتوبـة باللهجـة المصريـة

مولده ونشأته:

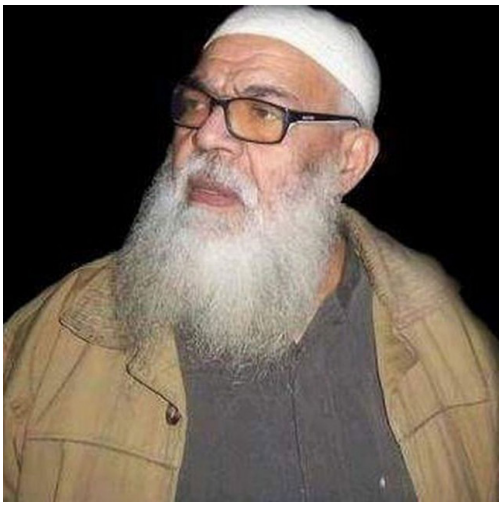

ولـد الشـيخ رفاعـي سـرور جمعـة في الإسـكندرية عـام 1947م في جمهوريـة مصـر العربية، ومـن المعلوم أن هذه الحقبـة التـي ولـد فيهـا الشـيخ كانـت حقبـة كارثيـة على الأمـة، فبعـض بـلاد المسـلمين كانـت لا تـزال تحـت الاحتـلال المباشـر ومنهـا مصـر، والبعـض الآخـر كان تحـت سـيطرة الخونـة والعمـلاء الذيـن لـم يخـرج الاحتـلال مـن بـلاد المسـلمين حتـى اطمـأن إلـى أن مقاليـد الحكـم صـارت في أيديهـم، وهـؤلاء الخونـة لـن يكونـوا أقـل سـوءا مـن الاحتـلال بحـال بـل سـيفوقونه في محاربـة أوليـاء الله والصد عـن سـبيله، وكما هـو معلـوم فبعـد ولادة الشـيخ بعـام كانـت كارثـة احتـلال فلسـطين مـن قبـل اليهـود بعـد هزيمـة الجيـوش العربيـة السـبعة في المعـارك الهزيلـة عـام 1948م، وتـلا ذلـك بعـام اغتيـال الملـك فـاروق للإمـام حسـن البنـا، ولـم تمـض سـوى بضعـة أعـوام حتـى كانـت محنـة الإخـوان المسـلمين الأولـى على يـد الطاغيـة الهالـك عبـد الناصـر؛ فأعـدم عـددا مـن خيـار علمـاء المسـلمين ومجاهديهـم كعبـد القـادر عـودة ويوسـف طلعـت ومحمـد فرغلـي، وزج بمئـات أو بألـوف في السـجون، وقـد كان للظلـم الـذي شـهده الشـيخ رفاعـي مـن زبانيـة عبـد الناصـر على الإخـوان أثـر كبيـر في صياغـة شـخصيته.

تربـى الشـيخ رفاعـي رحمـه الله منـذ صغـره على العـزة وحـب الجهـاد ورفـض الظلـم، فقـد أخبـرت أن جـد الشـيخ رفاعـي كان يجاهـد الإنكليـز عندمـا كان المصريـون يُجبـرون على حفـر قنـاة السـويس سـخرة، وكان عنـد هـذا الجـد سـلاح يخفيـه في منزلـه، وذات مـرة جـاءت دوريـة إنكليزيـة لتفتـش البيـت، فقامـت زوجتـه بوضـع السـلاح داخـل سـجادة ثـم أدرجتهـا وحملتهـا على رأسـها متظاهـرة أنهـا تريـد نفضهـا أمـام الـدار، وانطلـت الحيلـة على الإنكليـز، فعـادوا خائبيـن دون أن يعثـروا على شـيء، وكانـت جـدة الشـيخ رفاعـي

تحدثـه عـن جـده وبطولاتـه وجهـاده، فـكان ذلـك أول حبـه للجهـاد والمجاهديـن.

وأمـا والـد الشـيخ رفاعـي فقـد خـرج مـن ريـف المنوفيـة قاصـدا الإسـكندرية؛ حيـث عمـل هنـاك في شـركة المواصـلات (التـرام) وتـزوج هنـاك زوجتـه الأولـى وهـي والـدة الشـيخ رفاعـي، ثـم تـزوج زوجتـه الثانيـة.

تـوفي والـد الشـيخ رفاعـي وهـو في مقتبـل شـبابه، وكان عمـر الشـيخ رفاعـي عامين ، فاهتمـت أمـه بتربيتـه ورعايتـه، وكانـت تحضـه على الذهـاب إلـى المسـجد، وفي إحـدى المـرات ذهـب إلـى المسـجد وأخـذ يلعـب، فنهـره إمـام المسـجد، فأثّـر ذلـك في نفسـه جـدا ورجـع إلـى أمـه يشـكو لهـا مـا لقـي، فذهبـت أمـه إلـى إمـام المسـجد، وقالـت لـه: هـذا يتيـم لا يجـوز لـك أن تنهـره، وكلمتـه في هـذا الشـأن، فنـدم على مـا صـدر منـه وصـار يوليـه اهتمامـا خاصـا، حتـى إنـه كان يمـر عليـه في البيـت ويصطحبـه معـه إلـى المسـجد، فـكان لذلـك أعظـم الأثـر في نفـس الشـيخ رفاعـي، فأحـب المسـجد وداوم على الصـلاة فيـه، وفي المسـجد بـدأت علاقاتـه بالجماعـات الإسـلامية، وأخـذ يقـرأ لسـيد قطب وأحبـه حبـا جمـا، وألـف كتـاب أصحـاب الأخـدود بعـد استشـهاده، وكان استشـهاد سـيد دافعـه لذلـك، كمـا سـنذكر إن شـاء الله.

يقـول ابنـه عمـر: تعلَّـق قلـب أبـي -رحمـه الله- بالمسـجد منـذ طفولتـه حتـى يـوم وفاتـه، قـال لـي: كنـا مجموعـة مـن الصبيـة نصلـي في المسـجد، فطردَنـا أحـد كبار السـن، فانقسـمنا إلـى مجموعتيـن: الأولـى بحثـت عـن مسـجد آخـر وكنـت معهـم، وانصرفـت الثانيـة؛ فحافظَـت المجموعـة الأولـى على الصـلاة إلـى يومنـا هـذا، وتركـت الثانيـة الصلاة. والملاحـظ أن هنـاك اختلافـا بيـن روايـة ابنـه وروايـة قريبـه؛ فإمـا أن تكونـا قصتيـن مختلفتيـن، وإمـا أن الـذي طـرده رجـل كبيـر في المسـجد وليـس الإمـام فلمـا انتقـل إلـى مسـجد آخـر أوصـت أمـه إمـام المسـجد بـه فـكان يوليـه رعايتـه، والله أعلـم

تقـول ابنتـه ولاء: تربـي أبـي في بيـت جـده بيـن أخوالـه وكانـت الأم مـع صغـر سـنها سـندا وداعمـا لـه في مـا يقابلـه مـن صعوبـات، وحـدث أن ذهـب ليصلـي في المسـجد

وهـو في الخامسـة مـن عمـره فأخرجـه شـيخ المسـجد وقـال لـه: اذهـب والعـب واجـر خـارج المسـجد فرجـع إلـى أمـه يبكـي وحكـى لهـا مـا حصـل معـه فأخذتـه مـن يـده إلـى المسـجد وعنفـت شـيخ المسـجد قائلـة: غـدا سـيكبر ابنـي وسـيكون شـيخا خيـرا منـك، يقـول الشـيخ رفاعـي: فـكان لهـذه الكلمـة عظيـم الأثـر في نفسـي وكانـت سـببا في ثباتـي على الذهـاب إلـى المسـجد

وبـدأ تعلـق الشـيخ بكتـاب الله منـذ نعومـة أظفـاره، واسـتمر هـذا التعلـق حتـى لقـي الله تعالـى.

يقول عمر: سألته عن سر جمال خطه، فقال لي: كنت وأنا صغير أُقلِّد خط المصحف.

واسـتمر هـذا الحـب والتعلـق بالقـرآن إلـى وفاتـه فقـد سـأله عمـر مـرة: مـاذا سـتطلب مـن الله إذا دخلـت الجنـة؟ فأجابـه: أن أفهـم القـرآن

وتقـول ابنتـه ولاء: تتلمـذ في صغـره على شـيوخ أنصـار السـنة المحمديـة فـكان في سـن السـابعة يذهـب إلـى المسـجد يسـتمع إليهـم وهـم يقـرؤون صحيـح البخـاري وبعـد أن شـب قليـلا بـدأ يطلـب منهـم شـرحا وتفسـيرا للأحاديـث وإسـقاطها على الواقـع، لكـن القبضـة الأمنيـة لعبـد الناصـر في ذلـك الوقـت منعتهـم مـن التجـاوب معـه خوفـا مـن عواقـب ذلـك عليهـم فاكتفـى بذلـك منهـم واتجـه بعدهـا لقـراءة كتـب الشـيخ سـيد قطـب رحمـه الله والتـي وجـد فيهـا بغيتـه.

وكاد الشـيخ رفاعـي أن يلتقـي بسـيد قطـب؛ فقـد كلـم سـيد قطـب بعـض المقربيـن منـه قبـل اعتقالـه بأسـبوعين عـن الشـيخ رفاعـي، فأعجـب بـه وطلـب منـه أن يحضـره إليـه، إلا أن اعتقـال سـيد قطـب حـال دون ذلـك، وقـد قـال لـه أحـد الضبـاط يومـا: كتاباتـك تـدل على أنـك امتـداد لسـيد قطـب.

زواجـه: تـزوج في الإسـكندرية ثـم أتـى إلـى القاهـرة، وكان دافعـه إلـى ذلـك أن الدعـوة في القاهـرة أعظـم ثمـرة.

حوار مع زوجة العلامة الراحل رفاعي سرور رحمه الله:

أجرى الحوار: أم مريم، وأم عاصم.

المصدر: مجلة الإحياء الإسلامي (العدد الثاني)

31 / 8 / 2013

أمنا الكريمة نتقدم لكم بخالص العزاء في وفاة علم من أعلام الدعوة الإسلامية فضيلة الشيخ (رفاعي سرور) رحمه الله، ونحن في هذا الحوار لا نريد أن نثير الأحزان بقدر ما يهمنا إلقاء الضوء على حياة صاحب بيت الدعوة رحمه الله.

1- في بداية الدعوة في السبعينات لم يكن منتشر الزي الشرعي كما هو الحال الآن، وسؤالنا كيف كان اختيار الشيخ رفاعي لكم؟ وكيف تمت مرحلة الزواج؟ وهل كان هناك صعوبات في إنشاء البيت من الناحية الاقتصادية كما نشاهدها في وقتنا الحالي أم أن الأمر مختلف؟

كنت كبقية الفتيات في ذلك الوقت ألبس القصير ولا أغطي شعري، وكنا جيران في نفس الشارع وكانت والدته صديقة للعائلة، وكان دائم النصح منذ صغره، وأن أي جزء يظهر من جسد المرأة فهو في النار، وذلك حرام ولا يجوز، فبدأت أفكر في كلامه ففصلت ملابس ولكن تغطية شعري كاملا لم أستطع في البداية، ولكنه قال: ينفع جسمك يتغطى وشعرك لا ويكون في النار؟! ولكن في الخطوات الأولى على طريق الاستقامة يكون الشيطان متربص للإنسان، فالشيطان لا يأتي إلى جدار متين ويهده ولكن يأتي لجدار خائر ضعيف، وندمت لأن أي رحلة في الكلية كنت أذهب إليها، وهكذا قيدت نفسي بالحجاب وذهبت للكلية باكية وطلبت من الله الثبات، واستقبلنني أصحابي بالبشر والسرور، فكان هذا بمثابة ثبات لي ورسالة، وهناك مرة زرت والدته ووجدته، فمددت يدي لأسلم فرفض لأنه لا يسلم على نساء، وكانت معلومة لأول مرة أسمعها، كان يريد أن يرشدني وفي نفس الوقت كان لا يريد أن يتعامل معي مباشرة منعا للاختلاط، فأرشدني إلى زوجة الأخ (يحيى هاشم) رحمه الله وضيفتني في منزلها، فقرأت معها كتب لـ(سيد قطب، ومحمد قطب، والولاء والبراء) فكانت نقلة بالنسبة لي ولم أنزل من عندها إلا وقد تغيرت ولم أذهب للمنزل إلا بالحجاب الشرعي.

وكان أهم شيء في تأسيس البيت السيرة النبوية وكيف عاش الصحابة والصحابيات، وكان من أهمها البعد عن مظاهر الدنيا، فكان تأسيس البيت أبسط ما يكون، فأنا لم أرغب في الدنيا وجعلتها تحت قدمي، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان ينام على الحصير، لم يكن لدي أنتريه ولم أطلبه إلا بعد أن أرهقني الحمل الثالث، ولم أستطع الجلوس على الأرض، وبكى عند شرائه، وكنت لا أطلب شيئا إلا عندما أكون محتاجة له، وهو رحمه الله علمني الزهد في الدنيا، وكان لا يملك ثمن المهر لكنه يصر عليه حفظًا لماء وجهي أمام أهلي، فاقترحت أنا عليه أن نقترضه ونعيده بعد الزواج إلى أصحابه، وثاني يوم العقد أعطيته له ليعيده، وأخت أعطتني فستانها وذهبها لأقضي بهما الفرح أمام الأهل.

- ولكن معذرة أمي كثير من الأخوات الآن يبدأن كما ذكرتِ، ولكن بعد مرور الوقت تنظر إلى الأخريات من أخواتها ورغد العيش الذي هم فيه؟
الذي كان يجعلني محتسبة الأجر ولا أنظر للأخريات إحساسي بفرق التميز، وأنني وضعت قدمي على طريق الجنة بإذن الله.

2- أمنا الكريمة نعلم أن حضرتك حاصلة على بكالوريوس زراعة، والشيخ رحمه الله لم يكمل تعليمه الجامعي، هل كانت هذه النقطة لها أي اهتمام عندكم كما هو الغالب في واقعنا الآن؟
الذي يبدأ حياته بطريقة صحيحة تستمر بطريقة صحيحة ، لا بد كل ما نعرفه نطبقه ولا يكون مجرد كلام نظري {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات:13]، تقدم لي غيره جامعيون ولكن عند المقارنة كان يتفوق، وكانت المقارنة دوما في صالحه؛ فالجامعي يحل الكلمات المتقاطعة والشيخ يؤلف كتب، وعقليته تفوق عقلية أساتذة الجامعة، واستقامته كانت ملفتة، وهذا هو المعيار الصحيح.

2- كيف كان الشيخ رفاعي في بيته؟
كان نعم الزوج في بيته، وأشد صفة كانت تميزه أنه شديد الغيرة، حتى أنه عندما يأتي ضيف كان لا يريد أن يسمع الضيف سماع صوت تقليب الكوب.

3- أمنا الكريمة للأسف الشديد من الأمور الملاحظة أن كثيرا من أبناء الدعاة قد نجدهم على غير أبائهم، ولكن بفضل الله جميع أبنائكم حفظهم الله وجدنا أنهم على نفس نهج الوالدين، هل كانت لكم معالم تربوية معينة في تربية أبنائكم؟

بداية {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} [القصص:56]، فنحن أسباب وابني هو الكنز الذي سأتركه في الدنيا، فلن أترك مال ولكن أريد أن أترك ولدا صالحا يدعو لي، فكنا حريصين أنا وهو أن نجعل أولادنا ثروة بشرية، فأي حسنة سأشترك معهم في الأجر وأي معصية سأكون شريكة في الوزر، ولا يوجد أفضل من قصص القرآن فكنت أحكيها لهم، والآن للأسف تركنا الأطفال للكارتون، وبالنسبة لاختلاطهم بالآخرين فلا بد من تعليمهم المفاصلة وأنهم على طريق مختلف، وتربيتهم على أسس أن هناك جنة ونار، ولا بد من دمج الطفل في حمل هم الأمة والدعوة منذ الصغر، ومن أهم الأشياء في التربية توجيه رسائل عملية للطفل وليس توجيه نصائح فقط.. ومن المواقف أنه دخل على ابنته الكبرى وهي في سن عشر سنوات يقول لها: «هل معك أي نقود، فالأخ في الداخل حالته صعبة جدا؟» فأعطته الريال الذي كان معها، وفي اليوم التالي قالت له: «ما الذي سيفعله ريال للأخ يا أبي؟!» لكن الرسالة كانت أن أي أخ محتاج في أي ظرف يجب إغاثته فورا وبحسب الاستطاعة.

4- أمنا الكريمة هل كان انشغال الشيخ الشديد يسبب لكم حرجا وضيقا؟

الشيخ للعلم كان لا يعرف سنوات أولاده الدراسية ولا مواعيد امتحاناتهم، ولكن المهم ما الذي يشغل الزوج، يشغله أمر دينه ودعوته، أم أصدقائه أم..؟ فإذا كان أمر دينه ودعوته فعلى الزوجة أن تصبر وتحتسب وتعينه.

5- وفيما يتعلق بقضية الأبناء نرجو من حضرتك إلقاء نبذة عن سبب تسمية الأبناء بهذه الأسماء وهم حفظهم الله (أ. يحيى، م. عمر، د. ولاء، د. ياسر، د. رقية (جهاد)، أ. أسماء)؟

يحيـي على اسـم الأخ يحيـي هاشـم رحمـه الله؛ لحـب الشـيخ الشـديد لـه، عمـر على اسـم المرشـد عمـر التلمسـاني، ولاء مـن الـولاء والبـراء، ياسـر كان حريصـا على اختيـار اسـم يليق على اسـم رفاعـي؛ لأن مـن حـق الابـن حسـن اختيـار اسـمه، رقيـة على اسـم زوجـة الأخ يحيـي هاشـم رحمـه الله، أسـماء اقترعنـا لـه لنسـتن بسـنة القرعـة.

6- هل كانت هناك معايير معينة عند اختيار أزواج أو زوجات للأبناء؟

لا توجـد أي أسـس أو اعتبـارات ماديـة أو أمنيـة، الاعتبـار الأساسـي مـاذا قـدم للدعـوة ومـدى ثباتـه مـع الضغـوط الأمنيـة، بـل على العكـس يرحـب بمـن لديـه ملـف أمنـي لدخولـه مثـل هـذا الابتـلاء وثباتـه فيـه.

7- كزوجة وأم كيف كان شعورك حينما يتم اعتقال زوجك أو أحد من أبنائك؟

نحـن على الطريـق ولا بـد مـن الابتـلاء، اعتقـال الأبنـاء كان أشـد مـن اعتقـال الـزوج؛ لأنـه كبيـر يعـي طريقـه جيـدًا ويعـرف قضيتـه، ولكـن الأبنـاء لا زالـوا في بدايـة الطريـق، فكانت شـفقة الأم تأخذنـي، في رمضـان بكيـت عنـد تحضيـر الإفطـار لغيـاب يحيـى، فسـألني لـم تبكـي؟ قلـت لـه: مـاذا يفطـر الآن؟ فقـال لـي: هـو يفطـر أفضـل منـا! طعـم الطعـام في فمـه أفضـل، وأنـت في شـهر عبـادة، وجمـع الله لـك الجهـاد باعتقـال ابنـك ليزيـد لـك في الأجـر، فـكان مـدار الحيـاة كلهـا بميـزان الأجـر والثـواب والجنـة.

8- هـل كان الشـيخ رفاعـي يستشـيركم فيمـا يكتـب، ومـا هـو تفاعلكـم فيما كتبه الشـيخ مـن تـراث للحركة الإسـلامية؟

كان يجمـع أفـراد الأسـرة ويسـألهم ويستشـيرهم للتفاعـل، وهـل وصلـت الفكـرة لديهـم أم غامضـة ليستشـف هـل فكرتـه سـتصل لمـن يقـرأ.

9- نعلـم أن الشـيخ رفاعـي حفظـه الله كان دائـم الانشـغال بالدعـوة، ويعـج البيـت دائمـاً

بالـزوار، هـل كان هـذا الأمـر يسـبب عبئـا نفسـيا عليكـم، وكيـف كان تفاعلكـم مـع الأمـر؟

لمصلحـة الدعـوة يهـون كل شـيء، كانـت مهمتـي إحـداث التـوازن، ومـا دام المقصـد لله لا أسـتطيع عمـل مشـكلة، وكان الشـيخ ذكيـا جـدًا فـكان يشـرك الأسـرة في القضيـة لعـدم إشـعارنا بالعـبء وأن لـي دورًا هامًـا في القضيـة، والأبنـاء أيضـا فـكان لـكل واحـد دوره، فبذلـك الجميـع يسـاهم فـلا يقـع عـبء على أحـد فالـكل يحمـل القضيـة نفسـها.

10- لـو أمكـن أمنـا الكريمـة أن تصفـي لنـا بكلمـات بسـيطة أهـم الملامـح الفكريـة لمنهـج ودعـوة الشـيخ رفاعـي سـرور؟

مـروره على جميـع التيـارات الإسـلامية واحتكاكـه بالجميـع، وفتـرة اعتقالـه أيضـا أعطتـه رؤيـة لكافـة التيـارات، فـكان حريصـا على تقـارب وتوحيـد التيـارات، وأن مـن بيـده شـمعة لا يطفئهـا الآخـر، وكان حلمـه دمـج جميـع التيـارات الإسـلامية، وكان حريصـا على احتـواء الجميـع، فلـكل تيـار ميـزة عـن الآخـر ويجـب احتوائهـا جميعًـا لمصلحـة الدعـوة.

11- ما هي خطة الأسرة لحفظ ونشر تراث الشيخ رفاعي سرور رحمه الله؟

الاهتمـام بإعـادة طبـع وتوزيـع الكتـب باسـتمرار، وفي معـرض الكتـاب هـذه السـنة لاقـت كتبـه رواجًـا كبيـرًا بفضـل الله.
وفي نهايـة هـذا الحـوار نشـكركم على سـعة صـدرك، ونسـأل الله عـز وجـل أن يبـارك في هـذه الأسـرة الكريمـة.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبادته:

كان الشـيخ رفاعـي شـديد التعبـد لله عـز وجـل، عظيـم الحـب لـه، كثيـر الخـوف منـه، لا يبالـي بالمشـاق التـي تعترضـه في سـبيل إرضـاء ربـه تبـارك وتعالـى ولا تعوقـه الصعـاب والشـدائد عـن ابتغـاء مرضاتـه.

يقـول ابنـه عمـر: كنـت أسـمعه يقـول: ربنـا حبيبـي؛ وهـي كلمـة لـم أسـمعها مـن رجـل قبلـه ولا قرأتهـا في كتـاب، وربمـا أكـون قـد سـمعتها مـن طفل صغيـر على الفطـرة يتكلم عـن الله.

وتقـول ابنتـه أسـماء: كان كل ثلاثـة أيـام تقريبـا وبعـد صـلاة الظهـر يقـول لـي: اسـتمعي لـي سـورة البقـرة، وبعـد أن ينتهـي مـن قراءتهـا يقـول: أعـدي لـي كوبا مـن الشـاي لأعمل.
- لـو جـاء مـن الصـلاة ووجدنـي جالسـة أعمـل على جهـازه بحثـا للكليـة أو شـيئا آخـر على الحاسـوب كان يقـول لـي: أسـماء: انهضـي حـالا ولا تعطلينـي عـن عملـي، فكنـت أقـول لـه: أريـد أن أنهـي أمـرا يسـيرا، فيقـول: لا، انهضـي، وبعـد أن أنهـض يقـول لـي: حسـنا، مـا كنـت تريديـن إنهائـه أنهيـه في خمـس دقائـق.

- كانـت تمـر عليـه أيـام كثيـرة ولا ينـام في اليـوم الواحـد سـوى سـاعتين أو ثـلاث فقـط ويعمـل بقيـة يومـه، في إحـدى المـرات قلـت لـه: ألا تسـتريح قليـلا؟ فقـال: أمريـكا لا تنام.
- ولـو أمضـى ليلـه سـهرانا ثـم نـام قبـل الفجـر بنصـف سـاعة فـلا بـد أن يسـتيقظ على صـوت المـؤذن (لا أعـرف كيـف) حتـى في الشـتاء كانـت ملابسـه دائمـا تتبلـل أثنـاء وضوئـه ثـم ينـزل فيهـا ليـدرك الجماعـة، والأمـر ذاتـه يتكـرر في الصلـوات الخمـس لا بـد أن يصليهـا في المسـجد وينـزل لذلـك مـن الطابـق السـابع حتـى في أشـد الأوقـات بـرودة.
- إذا سـمع صـوت شـجار يجـري في الشـارع فيبـادر إلـى النـزول فـورا ويدخـل بجسـمه بيـن النـاس الذيـن يتضاربـون كـي يفرقهـم، ثـم لا يتركهـم إلا بعـد أن يتصالحـوا.

- وإذا كانـت هنـاك مشـاكل مـن أجـل المـال بيـن النـاس فيقـوم بضمانـه عـن المديـن، وغالبـا المديـن لا يدفـع فيدفعهـا هـو، اللهـم ارفـع درجـات شـيخي وأبـي في الجنـة وألحقنـي بـه على خيـر.

ويقـول عمـر: كان يصلـي الفجـر، وينتظـر حتـى ارتفـاع الشـمس ثـم يصلـي ركعتيـن؛ وفي يـوم وفاتـه صلـى سـت ركعـات.

وتقـول الأخـت ولاء: كان مـن حـرص أبـي رحمـه الله على الصـلاة في المسـجد أن ضـاع منـه مفتـاح البوابـة يومـا وأراد اللحـاق بصـلاة الفجـر في المسـجد فقفـز مـن الشـباك، وكنـا نسـكن بالطابـق الأرضـي، وسـاعد أخـي عمـر ويحيـى على القفـز معـه وكانـا صغيريـن ليلحقـوا معـا صـلاة الجماعـة.

وحـدث أن فاتتـه صـلاة الفجـر في جماعـة يومـا، فأخذنـا جميعـا أنـا وأمـي وإخوتـي وفتـح المسـجد وأقـام بنـا الصـلاة فصلـى وصلينـا وراءه.

وكثيـرا مـا عاتبـه طبيبـه على إهمـال نفسـه والخـروج إلـى الصـلاة بملابسـه المبللـة ممـا يضـر صـدره، لكنـه كان يرفـض تغييـر ملابسـه ويجـري بالسـرعة على البـاب قائـلا: سـتفوتني الصـلاة.

فلمـا فاضـت روحـه وهـو في المسـجد يتأهـب لصـلاة العصـر أدركنـا أن الله قـدر ذلـك؛ لأن مـن عـاش على شـيء مـات عليـه.

وتقول: لم يكن الجهاز التنفسي لأبي رحمه الله ليهدأ من المرض.
السـبب الرئيـس لمرضـه المـلازم لـه هـو أنـه كان يتوضـأ لصـلاة الفجـر في البـرد الشـديد ومـع وضوئـه بسـرعة يبلـل ملابسـه، فنسـارع إليـه نطلب منـه أن يبـدل الملابـس لأن الجو بـارد، فيسـابقنا إلـى بـاب الشـقة ويفتحـه بسـرعة مـرددا: لـن أدرك الصـلاة، سـتفوتني.

وتقـول: والـدي رحمـه الله كان ملازمـا للذكـر بصـورة عجيبـة، أقسـم بـالله كان يسـبح ويسـتغفر بصـوت عـال نسـمعه جميعـا وهـو مسـتغرق في النـوم، كان يصلـي الفجـر ويجلـس يقـرأ الأذكار إلـى طلـوع الشـمس..، وكذلـك بعـد العصـر إلـى أذان المغـرب، وعنـد انشـغاله بـالأذكار لـم يكـن أحـد يسـتطيع أن يكلمـه ولـم يكن يجيـب أحـدا إلا بعـد انتهائه مـن الأذكار، ولـم أنتبـه لأهميـة ذلـك إلا الآن فصاحـب الهـم والابتـلاء إذا لـم يتسـلح بالذكـر سـينهار ويطيـش صوابـه فالزمـان الـذي نحيـا فيـه يلقـى المسـلمون ألـوان البـلاء مـع إمكانيـات مقاومـة ضعيفـة، ولذلـك فالداعيـة يجـب عليـه أن يحافـظ على دينـه وعقلـه

ونفسيته ولا يكون ذلك إلا بقوة كبيرة نازلة من السماء، يكون محلها القلب واللسان وأطراف الانامل.

وتقول: كنت أرى حرصه على صيام الاثنين والخميس في أشد أيام الحر رغم أنه قد تجاوز الستين.

ويقول عمر: اعتزال الفتنة مع إصلاح الواقع حسنيان أحسب أنهما قد اجتمعا لأبي رحمه الله.

ربما لانشغاله بقراءة القرآن وتدبره أكثر من انشغاله بقراءة الأحداث والتعليق عليها.

ويقول الشيخ حسام أبو البخاري فك الله أسره: كان بيت الشيخ في الطابق السابع، وكان لا يصلي إلا في المسجد، وقبل الثورة كنا نجتمع في بيته فيؤذن المؤذن ويكون في نزولنا ونحن مجموعة خطر علينا، فكان يقفل الباب علينا ثم ينزل ليصلي في المسجد.

ومن صور تعبد الشيخ رفاعي يقينه بالعلاج الذي ورد في السنة.

تقول ابنته ولاء: ابتلينا أنا وأخي يحيى وعمر بداء الدرن (السل).

أصيب به يحيى في المعتقل وخرج وهو مصاب به وبمجرد خروجه أخذنا منه العدوى أنا وعمر، كان يحيى في الثانوية العامة، وعمر في الصف الثاني الثانوي وأنا في الصف الأول الثانوي، وأصبحنا نحن الثلاثة مرضى بجوار أبي وأمي، وقال الأطباء: إن المرض بحاجة لأكل خاص بقيمة غذائية عالية لتقوية المناعة بجانب العلاج الذي يستمر لشهور، ولأن ظروف أبي المادية لم تكن تسمح بهذا إلى جانب شراء علاج لمدة شهور لثلاثة أبناء، فقد اتجه أبي وكله يقين إلى التداوي بالعسل وحبة البركة (الحبة السوداء).

لم ينقطع العسل وحبة البركة من بيتنا أبدا وكانا غذاءنا الأساسي إلى جانب الليمون، فإذا اطمأن أبي إلى تناولِنا العسل وحبة البركة لم يهتم بما تناولناه بعدهما باقي اليوم، حتى منَّ الله علينا نحن الثلاثة بالشفاء التام دون أن نكمل الستة شهور التي قررها الأطباء.

فالحمد لله الذي جعل في ديننا حصنا ووقاية وعلاجا لنا من الأمراض.

تواضعه:

كان الشيخ رفاعي رحمه الله متواضعا يعرف الفضل لأهله ولا يتكبر على العاملين في حقل الدعوة، ولا يرى نفسه إلا نتاج غرسهم، وإذا استفاد من أحد شيئا عزاه إليه وأقر بفضله وأثره عليه.

يقول ابنه عمر: لم تكن السلفية عند أبي -رحمه الله - مجرد ادعاء لحب الصحابة، أو دعوى الاقتداء بهم كحال الشيعة مع آل البيت؛ بل كانت تعني الإيمان بوجود سند متصل لهم علما وعملا، ثم البحث عن هذا السند المتصل، ثم الحرص على أن يكون أحد رجاله، ومعرفة الفضل لأهل السبق فيه، فكثيرا ما كان يحدث بما رآه وهو طفل في السابعة من عمره من أحد جيرانه من الإخوان المسلمين، تم إلقاء القبض عليه من جنود عبد الناصر فتأثر بذلك لما كان يراه من حسن خلقه وسأل زوجته: لماذا أخذوا العم عبدو؟ فقالت: لأنه كان يريد أن يحكم بالقرآن يا ابني. وكان يحدث أنه كان في بداية عمله لدين الله حريصا على الوصول إلى من سبقه في الدعوة والجهاد، ولما مدحه أحد الذين سبقوه بالإيمان وأكثر في المدح أجابه بكلمة واحدة مختصرة تحمل الكثير من المعاني، قائلا: لست إلا أثرا لكم.

ومن تواضعه أنه قال مرة لولده: استفدت منك كثيرا، كما ذكر ذلك عمر، فقال: مقال (أبناء الدعاة، مسألة في التربية) له عندي مَعزّة خاصة، فقد كان ثمرة لنقاش دار بيني وبين أبي -رحمه الله- عمّا كنت أشعر به وأنا طفل تجاه أبي بصفته داعية، له مقام مميّز بين الناس، وكيف تجنّبت الآثار السلبية لرؤيتي هذا المقام المميَّز، وما هي الآثار الإيجابية له، وماذا كان شعوري تجاه ما كان يأمر به بصفته أبا، وما كان يربيني به بصفته داعية، وكيف كنت أتغلب على الفوارق بيني وبين أقراني في متابعتهم للمباريات والأفلام ونحن أطفال، وكيف كنت أعالج الإحساس بالغربة فيما بيني وبين أصدقائي من فوارق؛ وأشياء أخرى.

الجميل أنه قال لي بعدها: النقاش الذي دار بيني وبينك استفدت منه جدًّا وكتبت منه مقالة، ففرحت فرحا شديدًا وأحسست بأنني كاتب لمقال عليه توقيع رفاعي سرور.

ومن تواضعه خدمة إخوانه إعانة لهم على العبادة، كتب عمر: في مثل هذه الليلة (ليلة وترية من رمضان) كان أبي -رحمه الله- يقوم بتجهيز سحور المعتكفين وهم يصلون التهجد.

ويقول: كان يتعامل مع المعتكفين وكأنهم أضيافه، فيجعل أمي تجهّز لهم الإفطار، ويقوم هو بتجهيز السحور.

ولما أطلْتُ بالمعتكفين صلاة التهجد اخترق الصفوف، ووصل إليّ وأمرني أن أركع، وبعد الصلاة نهرني بشدة لأنني كدت أن أُفوِّت عليهم السحور.

وتقول ابنته ولاء: تفقد أبي رحمه الله الإخوة في الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، فوجد كل أخ منهم يأكل بمفرده، فقال: لو أن واحدا له ظروف مادية تسمح له بشراء طعام جيد والآخر ظروفه لا تسمح لأثر هذا في نفس الفقير، ولأحدث فجوة، كما أن اجتماع الإخوة على إناء واحد يوحد صفوفهم ويؤلف بين قلوبهم.
فقرر أن يتم تجهيز طعام موحد في بيتنا لجميع الإخوة المعتكفين، واستمر هذا الامر لأكثر من عشر سنوات.. وفي عام جاء رمضان بدون أبي، ولشدة حزن أمي عليه لم تفكر في هذا الأمر، إلى أن رأت في الرؤيا أن أبي مشغول عنها بتجهيز الطعام للمسلمين، كلما أكل فوج خرج ودخل غيره.. ففهمت مقصود الرؤيا، وقررت أن يتم هذا الأمر في بيتنا هذا العام كما كان يتم في حياة أبي.

اللهم اجعل لأبي نصيبا من قولك: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

وتقـول ابنتـه ولاء: قـال أحدهـم لأبـي: أنـا أدعـو لـك دائمـا يـا شـيخ رفاعـي، أقـول: اللهـم اغفـر للشـيخ رفاعـي سـرور.

فانتفـض رحمـه الله، وقـال لـه: لمـا تكلـم ربنـا لا تـأت بسـيرة الشـيوخ، قـل: اللهـم اغفـر لعبـدك رفاعـي سـرور. أعلى الله قـدرك يـا أبـي ورفـع ذكـرك وألحقنـا وإيـاك في عبـاده الصالحيـن.

ويقـول صهـره خالـد حربـي: قـد يمكـث يعالـج المصـروع ثلاثـة أيـام، فـإذا عوتـب في ذلـك قـال: مـا قيمـة الدعـوة دون أن نخـدم النـاس؟

يقـول عمـر: لـم يكـن ينظـر لكلماتـه على أنهـا محركـة للواقـع بقـدر مـا كان ينظـر إلـى مسـئوليته تجـاه تلـك الكلمـات، أذكـر أنـه سـمع كلمـة للشـيخ أسـامة بـن لادن -رحمـه الله- ذكـر فيهـا بعضًـا مـن كتـاب أصحـاب الأخـدود، فرأيـت على وجهـه فرحًـا ثـم حزنًـا، فسـألته عـن سـببه، فقـال لـي: الشـيخ أسـامة يريـد أن يقـول لـي: أيـن أنـت؟ وأنا الذي كنت أظن -بعقلي الصغير- أن أبي سيقول: كتبي في جبال أفغانستان.

ويقـول: وكان ينظـر لمـن بعـده على أنهـم الأحـق بإكمـال المسـير وحمـل الرايـة؛ فقـد سـألته -وأنـا في السـجن- عـن حـال الدعـوة، فقـال لـي مستبشـرًا فرحًـا: الجيـل الجديـد أفضـل منـا بكثيـر؛ وسـمّى لـي بعـض العامليـن، فلمـا خرجـت تعرفـت عليهـم وعرّفـوا أنفسـهم أنهـم تلامـذة الشـيخ رفاعـي.

ملاحظـة: لـم يتعامـل أبـي مـع أحـد -مطلقًـا- تعامُـل الشـيخ مـع تلميـذه، ولـم أسـمعه في حياتـي كلهـا يقـول عـن أحـد «تلميـذي»، وكثيـرًا مـا كان يحدثـه مَـن هـو دونـه فيقول لـه أبـي: أسـتأذنك أن أكتـب هـذا الـكلام منـك.

ومـن تواضعـه مـا ذكـره عمـر، فقـال: لـم يكـن أبـي -رحمـه الله- يقلـل مـن كلام أحـد وتحليلاتـه السياسـية -مهمـا بعـدت- لحبـه الشـديد أن يفكـر النـاس.

وتقـول الأخـت ولاء: كان أبـي يوصـي أخـي عمـر كلمـا زاره في سـجنه بـأن يرفـق بإخوانـه الذيـن وقعـوا اتفاقيـات المراجعـات والمبـادرات في ذلـك الوقـت بقولـه: «ارفـق بهـم يـا عمـر هـم بشـر وليـس كل أحـد قـادرا على التحمـل».

وتقـول: قلنـا لأبـي رحمـه الله: حـدد مواعيـد لمقابلـة النـاس وتلقـي المكالمـات كمـا يفعـل العلمـاء والدعـاة...
قلنـا لـه ذلـك لمـا رأينـاه يواصـل الليـل بالنهـار في حـل مشـاكل المسـلمين، حتـى إنـه لا يجـد الوقـت لـلأكل مـع أسـرته..

فغضب، وقال: ليس أنا الذي أعز نفسي عن الناس.
أسأل الله له العزة في الدنيا والآخرة.
وتقـول: حكـى بعـض مـن كانـوا مـع الشـيخ رفاعـي سـرور في السـجن أيـام الثمانينـات أن حمـلات الاعتقـال كانـت عشـوائية، وقـد انجـرف فيهـا داخـل السـجون عـدد مـن الشـباب ليـس لهـم أي شـأن بالأحـداث ولا يعلمـون مـا الـذي أتـى بهـم إلـى الزنازيـن..

- في إحـدى المـرات كان المعتقلـون يجلسـون للطعـام، ولمـح الشـيخ رفاعـي رحمـه الله شـابا يبـدو أنـه مـن عائلـة أرسـتقراطية لـم يتعـود على جـوِّ الزنازيـن، لمحـه بعيـدا عـن الطعـام لا يـأكل، فقـام إليـه الشـيخ رفاعي وسـأله: لـمَ لا تـأكل؟ فأجاب الشـاب: لا أسـتطيع آكل العيـش (الخبـز) إلا وهـو سـاخن..، فقـام الشـيخ ومـن معـه من الشـباب فجمعـوا الأوراق القديمـة مـن الزنزانـة وأشـعلوها وقامـوا بتسـخين العيـش فوقهـا...، حتـى يـأكل الشـاب العيـش وهـو سـاخن!

- قابلتنـي إحـدى العجائـز بعـد وفـاة الشـيخ رفاعـي، وقالـت: أبـوكِ رآنـي وأنـا ممسـكة بوصفـة الطبيـب، فأخذهـا منـي، فقلـت لـه: لمـاذا تريدهـا؟ فقـال: أريـد أقرأهـا لعلـي أرى فيهـا شـيئا ينفعنـي فأنـا مريـض عظامـي تؤلمنـي، وأخـذ يتكلـم معـي مـدة، قالـت: ومـن دون أن أشـعر أرسـل أخـاك واشـترى لـي العـلاج مـن الصيدليـة وأعطانـي الوصفـة والعـلاج وانصـرف..

- وحدثتني أخرى قالت: كنت أمر بظروف مادية صعبة جدا، فقلت: أذهب إلى أم يحيى، فطرقت الباب، ففتح لي الشيخ رفاعي، فسألته: الحاجة موجودة؟ فقال: لا، فرجعت إلى الوراء لأنصرف وأنا حزينة، ففوجئت بالشيخ رفاعي يقول لي: تعالَي يا أم إسلام أنت محتاجة مالا، فدخل وعاد ومعه مبلغ من المال أعطانيه، فأخذته وذهبت وأنا مذهولة كيف عرف أني بحاجة إلى المال والفلوس من غير أن أخبره!

- بكاه أحدهم ساعة موته، فقال: كنت أمر بظروف نفسية وضيق لا يعلمه إلا الله، وجلست في المسجد مهموما، فدخل الشيخ رفاعي ولمحني بطرف عينه ثم شرع في الصلاة، وأردت الانصراف من المسجد، فلما خرجت من الباب فوجئت بالشيخ رفاعي ينتهي من صلاته ويخرج ورائي مسرعا، (يقسم الشاب أن الشيخ رفاعي جرى وراءه وهو حافي القدمين،..) يا أخ محمد يا أخ محمد.. مالك؟

فانتظرته حتى يلبس حذاءه وأخذنا أنا وهو نمشي وأحكي له ما بي ويوجهني، ولم يتركني حتى أذهب الله ما بي.

- أرسل له أحد أثرياء الكويت يطلب منه أن يسافر ليعالج له ابنته من مس أصابها، ووعده بأن يرسل له طيارة خاصة تسافر به وترجع به، فرفض أبي رحمه الله، وسأله أخي عن سبب رفضه، فقال: مساكين المطرية أولى بوقتي... إذا كان يريد أن يعالج ابنته فليأت هو.

- تنصرت إحدى بنات المنطقة بعد أن ضللها شاب نصراني، وغضب شباب المنطقة جدا وذهبوا إلى الشيخ رفاعي غاضبين يريدون فعل شيء للبنت، فقال لهم الشيخ رفاعي: ليس لأحد شأن بها.

فذهب إلى بيتها وطرق الباب، ففتحت له، فقال لها برفق: أتسمحين لي أن أشرب معك كأسا من الشاي يا مروة؟

فوافقت البنت.. واستمرت الجلسات لمدة، تلقي له بالشبهة ويدفعها عن عقلها برفق ومودة، حتى منَّ الله عليها بالرجوع لدين الإسلام.

- حكـى مـن كانـوا في عـزاء الشـيخ رفاعـي مـن الحاضـرات أنهـن ظننهـا إحـدى بناتـه لفـرط بكائهـا عليـه، وهـي تقـول: قـدم لـي مـا لـم يقدمـه أبـي.

هؤلاء هم التكفيريون، قتلة الأبرياء!!

ومـن المناسـب هنـا أن نذكـر قصـة الشـاب الـذي كان نصرانيـا فاهتـدى على يـد الشـيخ رفاعـي، فقـد قـال:
كانـت نقطـة التحـول في حياتـي في أول شـهر سـبتمبر عـام 1988 عندمـا جلسـت إلـى شـيخي وأسـتاذي «رفاعـي سـرور» لأول مـرة وناقشـني وحاورنـي لأكثـر مـن سـاعة، وطلبت منـه في آخـر الجلسـة أن يقرئنـي الشـهادتين ويعلمنـي الصـلاة، فطلـب منـي الاغتسـال، فاغتسـلت ونطقـت بالشـهادتين وأشـهرت إسـلامي، وتسـميت باسـم «محمـد أحمـد رفاعـي سـرور» بعـد أن تبـرأت مـن اسـمي القديـم «عـزت إسـحاق معـوض» وألغيتـه مـن جميـع الوثائـق الرسـمية. كمـا أزلـت الصليـب المرسـوم على يـدي بعمليـة جراحيـة..، وكان أول بـلاء لـي في الإسـلام هـو مقاطعـة أهلـي ورفض أبـي أن أحصـل على حقوقـي المادية عـن نصيبـي في شـركة كانـت بيننـا، ولكننـي لـم أكتـرث، ودخلـت الإسـلام صفـر اليديـن، ولكـن الله عوضنـي عـن ذلـك بأخـوة الإسـلام، وبعمـل يـدر علـيّ دخـلاً طيبـاً».

كان الشـيخ متواضعـا جـدا وليـس في بيتـه أثـر للرفاهية مـع قدرتـه على التنعـم بذلك، إلا أنـه كان يرفـض ويقـول: هـذه الظـروف تشـجع الفقـراء على التواصـل مـع الداعيـة وتسـهل عليـه أمـور الدعـوة، وكان لا يتأخـر عـن الإجابـة على أي سـؤال ولـو كان السـائل طفلا.

زهده وكرمه وأمانته:

كان الشـيخ رفاعـي زاهـدا في الدنيـا لا يقيـم لهـا وزنـا ولا يرفـع لهـا شـأنا، وقـد رفـض عروضـا دنيويـة كثيـرة رأى أنهـا تنـال مـن آخرتـه ودينـه.

تقـول إحـدى بناتـه: وكأنـي بـه أقـف على رأسـه عنـد وداعـه، أرى البيـت الـذي ودّع عنـده الدنيـا كأنـه أحـد الكهـوف! أمسـكت جوالـه لأتصـل بأصحابـه وأبلغهـم خبـر وفاتـه فلـم

أجـد رصيـدا، تذكـرت الشـقة الفاخـرة جـدا التـي عُرضـت عليـه من أحـد التيـارات الإسـلامية كـي ينتسـب إليهـم، فقـال: شـكرا، أنـا أعمـل أعمـالا حـرة، وقبلهـا وفي آخـر أيـام حسـني مبـارك لمـا عـرض عليـه الأمـن فتـح قنـاة فضائيـة لـه، قـال: شـكرا، المسـجد أحسـن.

في أحـد الأيـام قصـده أحـد المحتاجيـن في مبلـغ، فلـم يجـد في البيـت شـيئا ليعطيـه: ففـك أنبوبـة الغـاز وأعطاهـا لـه، كانـت مدخـرات البيـت كلهـا للضيـوف وأصحـاب الحاجات. أقـام أختـي مـن على جهـاز الكمبيوتـر؛ لأن هـذا الجهـاز هديـة للمسـاعدة في نشـر الكتـب ولا يجـوز أن يسـتخدم لشـيء آخـر! آخـر طلـب لـه كان في الدنيـا ثـلاث بيضـات مسـلوقة! إي والله طلبهـم للغـداء قبـل أن ينـزل ليصلـي العصـر فوافتـه المنيـة في الصـلاة، رحم الله عبـده رفاعـي سـرور، هـذا هـو الفـرق بيـن الإسـلاميين وبيـن مـن حكـم لنفسـه بالقصـور وركـب أعنـاق الخلـق حتـى تكسـرت بالفقـر!

وتقـول ابنتـه ولاء: جلسـنا أنـا وإخوتـي نتفكـر، مـا سـر ذلـك الحـب الـذي غرسـه الله في قلوبنـا تجـاه أبينـا رحمـه الله، رغـم أننـا لـم ننعـم بـدفء أبوتـه يومـا نظـرا لظـروف اعتقالـه ومطاردتـه طـوال سـنوات الطفولـة، فلـم يكـن الأب الـذي يجلـس بيـن أبنائـه وقـت الغـداء، ولـم يكـن الأب الـذي يدخـل على أبنائـه محمـلا بالهدايـا، كمـا أنـه لـم يكـن الأب الـذي يخـرج بأبنائـه أيـام العيـد للمتنزهـات!!

فوجدنا ذلك السر يتلخص في أمرين:

الأول: أنـه لـم يضعـف أمـام تلـك الضغـوط الماديـة عليـه مـن طواغيـت عصـره بدعـوى أنـه (صاحـب عيـال)، فقـد تعـرض للتضييـق عليـه في رزقـه في كل مـكان وفـى كل عمـل يذهـب إليـه.. اشـتغل في مصنـع بـلاط فجـاء الأمـر صريحـا لصاحـب المصنـع بطـرد رفاعـي سـرور مـن مصنعـه، ولحسـن خلـق الرجـل أراد توصيـل الأمـر لأبـي بشـي مـن الـذوق، فقـال لـه: ابـق مسـتريحا في بيتـك وأنـا سـأوصل لـك مرتبـك إلـى البيـت، ففهـم أبـي رحمـه الله الأمـر فشـكره على حسـن خلقـه رافضـا عرضـه وانصـرف.

أرسـلوا إلـى صاحـب المطبعـة التـي تطبـع كتب أبـي وأمـروه بجمـع كل الأوراق المسـتخدمة

في طباعـة كتـب رفاعـي سـرور، ثـم أخذوهـا منـه وهـددوه إن تعامـل مـع رفاعـي سـرور مـرة أخـرى!

وهكـذا كان التضييـق عليـه في الوقـت نفسـه الـذي تعـرض عليـه المسـاومات للتنـازل عـن دينـه.

أتـى إليـه ضابـط في أمـن الدولـة في تلـك الظـروف، وقـال لـه: انظـر لأولادك يـا شـيخ رفاعـي كيـف سيعيشـون؟
لكنـه رحمـه الله لـم يضعـف أمـام تلـك الضغـوط وفضّـل ضيـق العيـش ولـم يقبـل أن يتنـازل لهـم عـن دينـه..

كنـا نسـكن في شـقة صغيـرة بالطابـق الأرضـي، وكانـت حجرتيـن إحداهمـا مشـغولة دائمـا بالضيـوف، فدخـل علـي يومـا وأنـا طفلـة في الثامنـة أشـتكي لأمـي ضيـق الشـقة وأنـي لا أجـد مكانـا أنـام فيـه، فقـال لـي: ولاء.. النـاس الذيـن خرجـوا قبـل قليـل عرضـوا علـيّ شـقة على النيـل مقابـل أن أسـمع كلامهـم وأتنـازل عـن ديـن ربنـا، ولكنـي رفضـت، فمـا رأيـك؟

أذكـر أنـي سـمعت سـؤاله وتعجبـت، لمـاذا يأخـذ رأيـي في قـرار كبيـر كهـذا وأنـا صغيـرة في هـذا السـن؟ نظـرت إليـه أبحـث عـن إجابـة، لكنـي فهمـت مـن نظرتـه مغـزى كلامـه..، هـو يريـد توصيـل رسـالة عمليـة كعادتـه..، يريـد أن يقـول: لـو أردت الدنيـا لجاءتنـي، لكـن أنـا مـن رفضهـا.

الأمـر الثانـي: الـذى يفسـر سـر ذلـك الحـب تجـاه أبـي في قلوبنـا هـو أنـه أشـركنا معـه في تلـك الحيـاة، فـكان يعـرض علينـا كل مـا يمـر بـه ويحملنـا المسـئولية معـه، ويـردد دائمـا أنـه يدخـل بنـا معركـة الدعـوة وعلينـا أن نتحمـل تبعاتهـا معـه باعتبارنـا شـركاؤه، لكنـه مـع ذلـك كان حريصـا على أن يغـرس في أذهاننـا أن كل نعمـة أنعـم الله علينـا بهـا في الدنيـا مـا هـي إلا ثمـرة مـن ثمـار تلـك التضحيـة، يشـجعنا بذلـك ويدفعنـا لمزيـد مـن العمـل حبـا في الله.

وحاشا لله أن يجاهد عبد في سبيله ثم يخذله في شدائده وكروبه، بل يأتيه بالفرج من حيث لا يدري، وهذا ما جرى مرارا مع الشيخ رفاعي.

تقول ابنته ولاء: مواقف حصلت لأبي رحمه الله، قد لا يصدقها البعض أو يرى فيها مبالغة، لكنها حصلت..

- كان مديناً لأناس وجاء وقت سداد الدين، وحضر الناس واستقبلهم ولم يكن معه المبلغ، وكل ما قاله لهم: إن شاء الله الفلوس موجودة، قالها ولم يدر ماذا سيفعل.. حينها ناداه رجل في الخارج يا شيخ رفاعي..، فخرج وكان الوقت متأخرا والليل مظلم، ولم ير أبي الرجل الذي أعطاه مبلغا وقال له: هذه الفلوس كانت لك عندي، قالها وذهب دون أن ينطق بكلمة أخرى، وكان نفس المبلغ المطلوب من أبي للناس بالداخل..، دخل أبي وأعطى الفلوس لأصحابها.

وللآن. لم يُعرف من هو هذا الرجل!

- كان أبي وأمي في ضائقة مالية شديدة حرمتهم حتى من الطعام في ذلك اليوم، وإذ بطارق يطرق على الشباك وكانا يسكنان في الدور الأرضي..، افتح يا شيخ رفاعي..، فتح أبي الشباك فوجد عليه طبق أرز وسمك مقلي، ولا يوجد بجواره أحد..، وللآن لم يُعرف من الطارق!!

- حكت لي أمي أني وأنا صغيرة جاءت امرأة تعول أطفالا تشكو الحاجة لأبي، فقال أبي لأمي: هل يوجد أي شيء يؤكل في الثلاجة، فقالت: لا يوجد سوى قطعة من الجبن، فقال لها: هاتيها وأعطاها للمرأة وخرج بعدها. تقول أمي أثناء وجود أبيك في الخارج أتى شخص وطرق الباب، فخرجتِ أنتِ، فقال: أبوك موجود يا ولاء؟ قلتِ له: لا، خرج..، فأخرج الشخص من جيبه مبلغا من المال واعطاه لكِ وذهب.. للآن لم يُعرف من هو هذا الرجل..

كنا نرى في علاقته بالله علاقة قرب ومودة وثقة عجيبة في أفعال الله، وكان دائما يردد بكل ود: ربنا حبيبي.

سـمع يومـا خبـرا أسـعده جـدا، فسـجد سـجدة شـكر، ثـم رفـع يديـه وقـال: جـزاك الله خيـرا يـا رب، فلمـا ضحكنـا مـن كلمتـه ضحـك هـو أيضـا، وقـال: ربنـا حبيبـي.

وكلمـة الشـيخ رفاعـي هنـا خرجـت في ذهـول منـه لشـدة فرحـه وسـروره كمـا في حديـث العبـد الـذي ضـل راحلتـه.

وأخبرنـي الشـيخ أبـو حسـام فقـال: كان الشـيخ عندمـا يـزور ابنـه عمـر يحضـر معـه طعامـا كثيـرا يكفـي لعشـرين أو لخمسـة وعشـرين شـخصا؛ لأنـه لـم يكـن يـزور عمـر فقـط وإنمـا الإخـوة معـه أيضـا، وربمـا مكـث في السـجن سـاعات يثبـت أهالـي المعتقليـن ويصبرهـم. وأخبرنـي فقـال: كان لا يسـعى إلـى المـال، ويقـول: المـال يفسـدني، وعـاش زاهـدا، وكان يقـول: يجـب على الداعيـة أن يخصـص وقتـا للدعـوة ووقتـا لكسـب الـرزق والمعيشـة، وكان صاحـب فراسـة يُحلِّـل الجالـس أمامـه، عبقريـا في السياسـة والتحليـل السياسـي، يحفـظ كثيـرا مـن أحاديـث الكتـب السـتة وكثيـرا مـن كلام شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة وتلميـذه ابـن القيـم.

وقـد حـاول النظـام المصـري الطاغوتـي تشـويه صـورة الشـيخ رفاعـي ورميـه بأنـواع التهم والافتـراءات فـرد الله كيـده في نحـره وأعلى اسـم الشـيخ رفاعـي ورفـع ذكـره ووضـع لـه ولكتبـه القبـول في الأرض.

تقـول ابنتـه: في سـنة 1994م ظهـر فجـأة شـخص صعلـوك على التلفـاز، اسـمه عـادل عبـد الباقـي، في برنامـج يحكـي فيـه قصـة حيـاة والـدي رحمـه الله، كان يدّعـي أنـه عـاش معـه سـنين. وكان يقـول: رفاعـي سـرور، هـذا رأس الحربـة، يأتيـه تمويـل بالملاييـن مـن السـعودية، وعنـده عزبـة خاصـة في الإسـكندرية وسـيارة خاصـة، والسـائق الخـاص لهـا مهنـدس -في الوقـت الـذي لـم يكـن الوالـد رحمـه الله قـادرا على إيجـاد عمل بسـبب ملفـه الأمنـي وكان يأتـي بكميـات مـن عسـل نحـل كـي يتاجـر فيهـا فكنـا نـأكل نصفـه والنصـف الآخـر يُـوزع على أحبابنـا الذيـن تشـبه ظروفهـم ظروفنـا-، كبرنـا بلطـف الله فقـط ولا أعلـم كيـف؟ كنـا ننظـر لبعضنـا وللوالـد نحـن نشـاهد هـذا الصعلـوك، ونقـول:

عمـن يتكلـم؟! كبرنـا ومثلنـا كمثـل البطـل في روايـة «أرض العميـان» نـرى الكـذب بأعيننـا ونسـمعه بآذاننـا وقليـل مـن يعـرف أنـه كـذب، عـادل هـذا اسـتثمر عطـف والـدي عليـه لمـدة بصـورة مربحـة، أكثـر هـذا البرنامـج كان يعـاد ليـل نهـار وتـروج لـه إعلانـات ثـم أنتجـت السـينما فيلـم «الإرهابـي» لعـادل إمـام ليشـخص حيـاة هـذا الرجـل أنـه كان وسـط الإرهابييـن ثـم تـاب وأنـاب.

وتقـول: أول مـرة رأيـت وسـمعت تشـويه التلفزيـون المصـري للشـيخ رفاعـي سـرور عندمـا كنـت في المرحلـة الثانويـة، كان في برنامـج يتكلـم عـن الإرهابـي رفاعـي سـرور الـذي يقبـض الملاييـن مـن الخـارج لتنفيـذ عمليـات إرهابيـة، في اليـوم التالـي ذهبـت إلـى المدرسـة ففوجئـت بمدرسـة الكيميـاء وأمـام باقـي البنـات زميلاتـي تقـول لـي: أنـت إذن بنـت رفاعـي سـرور الـذي تكلمـوا عنـه البارحـة في التلفزيـون؟ فرجعـت البيـت ونفسـي مليئـة بالحـزن والدمـوع متحجـرة في عينـي.

رآنـي والـدي بهـذه الحالـة فابتسـم ابتسـامته الجميلـة الهادئـة وقـال لـي: في سـبيل الله يـا ولاء.

الحقيقـة أنـه كان ذكيـا جـدا في هـذه الكلمـة، فقـد نقلنـي مـن حالـة شـخصنة الموضـوع واعتبـاره أمـرا يخصنـي ويخـص الأسـرة إلـى مرحلـة أن هـذا ديـن الله ومـا نحـن فيـه في سـبيل الله.

يعنـي العـداء بيننـا وبينهـم لأجـل الديـن ليـس لأشـخاصنا، وأي تعـد منهـم على ديـن الله يجـب أن نقابلـه بالدفـاع وبالتالـي سـنتعرَّض للإيـذاء وتشـويه السـمعة، ويجـب عنـد ذلـك ألا نشـغل أنفسـنا بأكاذيبهـم عـن هدفنـا الأساسـي وهـو نصـرة ديـن الله.

توالـت بعدهـا الإسـاءات في البرامـج ومقـالات الصحـف؛ أذكـر منهـا موضـوع طويـل اسـمه: رفاعـي سـرور الأميـر اللغـز، في إحـدى صحفهـم التافهـة، ومواضيـع أخـرى لا أذكرهـا لسـذاجتها.

والغريب أنهم كلما ازدادوا في الإساءة أعلى ربنا ذكره، ويكررون الإساءة ويزداد رفع ذكر المُساء إليه.

ومن صور زهده ما ذكره، فقال: أخبرت أبي -رحمه الله-بأن مكتبةً تنشر كتبه من غير استئذان، فقال لي: المهم أن يقرأ الناس.

صبره:

ابتلي الشيخ رفاعي بأنواع من البلاء، فكان صابرا محتسبا واضعا نصب عينيه قوله تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10] موقنا بحديث النبي عليه الصلاة والسلام ((عَجَباً لأَمْرِ المُؤمنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ ولَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلاَّ للمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيراً لَهُ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْراً لَهُ)) رواه مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلاَءِ، وَإنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ)) رواه الترمذي، وَقالَ: ((حديث حسن)).

فمما ابتلي به فقد بعض أولاده كما ذكر ذلك ابنه عمر رحمه الله، فقال: سألت أمي عن أخي الذي مات على كتفها وهي هاربة من أمن الدولة؛ فقالت: ياسر في الجنة.

وتقول ابنته: كان لأبي طفل مات وهو صغير، وبعد أن دفنه اشترى عنبا ورجع إلى البيت، فعاتبته أمي وقالت له: دفنت ابنك واشتريت عنبا؟ فقال لها: نعم وربنا سيعوضنا خيرا منه، ولم يمر عام حتى رزقه الله بولد جميل وسماه الاسم نفسه، كيس العنب كان عند والدي أسلوب حياة، يوطن نفسه على الرضا في أحلك الظروف..

ويقول عمر: كان لسان حاله مع القدر:

ولو قلت لي: مت؛ مت سمعا وطاعة ::: وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

وابتلي بالإيذاء من بعض من كان يدعوهم إلا أن الله أكرمه ورفع ذكره.

يقـول ابنـه عمـر: أصـر أحـد المصليـن مـن كبـار السـن أن يقبـل يـد أبـي -رحمـه الله- فتأثـر أبـي لذلـك تأثـرا شـديدا، فسـألته عـن ذلـك، فقـال لـي: كان هـذا المسـجد أول أمـره مؤسسـا على التصـوف والشـركيات، وكنـت أدعوهـم إلـى التوحيـد فيثـورون علـي ثـورة شـديدة، حتـى إن هـذا الرجـل ضربنـي ذات مـرة بقدمـه في صـدري وأنـا جالـس للتشـهد، فصبـرت عليهـم حتـى مـنَّ الله عليهـم بالهدايـة، وهـو الآن يصـر على تقبيـل يـدي.

وطريقـة الشـيخ رفاعـي في الدعـوة بينهـا ابنـه عمـر بقولـه: مـن حكمـة الدعـوة عنـد أبـي -رحمـه الله- أنـه كان يلحـظ خيـرا عنـد مـن يدعـوه، ثـم ينطلـق منـه لجميـع أبـواب الخيـر.

وممـا ابتلـي بـه الشـيخ جيـران سـوء لـم يراعـوا لـه حرمـة ولا كرامـة، فاقتـص الله لـه منهـم.

تقـول ولاء: كنـا خمسـة أطفـال صغـار ترعانـا أمـي في غيـاب أبـي الـذي كانـت معظـم أيامه إمـا معتقـلا أو مطـاردا، وكنـا نسـكن بشـقة صغيـرة بالطابـق الأرضـي، وكان لنـا جيـران سـوء ليـس لديهـم أي رصيـد مـن الأخـلاق، فكانـوا يقضـون الليـل بطولـه تحـت الشـباك، يضعـون أشـرطة الكاسـيت وزجاجـات البيـرة على الشـباك ويسـمعون الأغاني ويشـربون طـوال الليل دون أن يراعـوا حرمـة لجارهـم الغائـب أو لامـرأة ضعيفـة تربـي صغارهـا، وكانـت أمـي تمنعنـا مـن فتـح الشـباك نهائيـا في هـذا الوقـت، وحـدث أن جـاء الأمـن ولـم يجـدوا أحـدا بالشـقة، فقالـوا للجيـران: أي أحـد يأتـي إلـى الشـقة أحضـروه إلى القسـم...

وجـاءت أمـي تحمـل أخـي الصغيـر رضيعـا، فاسـتوقفها جيراننـا الثلاثـة وقـال أحدهـم: لا مؤاخـذة يـا سـت أم يحيـى أتتنـا الأوامـر أن نأخـذ مـن يأتـي إلـى الشـقة إلـى القسـم، فسـألتهم أمـي باسـتنكار يعنـى سـتأخذونني إلـى القسـم؟! فقالـوا: نعـم.

وأصـروا فعـلا على اقتيادهـا إلـى القسـم، وقضـت أمـي ليلـة قاسـية تحمـل على يديهـا ابنهـا الرضيـع في الشـتاء، وقابلـت بعدهـا أبـي وحكـت لـه مـا حصـل، فلـم يـزد على أن قـال: حسـبنا الله ونعـم الوكيـل...

أما الجار الأول.. فقام ابنه الوحيد بحرق نفسه في الشارع أمام أهل المنطقة بعد أن خسر كل ماله في العراق أيام حرب الخليج.. وأما الجار الثاني فلم ينجب إلا ابنا واحدا معاق الأيدي والأرجل، وأما الجار الثالث: فقد ترك بيته وأولاده الخمسة دون رجعة بعد أن حل به الفقر، وكان أبي رحمه الله هو من يرسل إليهم نفقة طعامهم، ويشهد الله أني وأنا طفلة سمعت بأذني ابنته تقول لأبي: أمي تقول لك: هات فلوسا لنشتري فولا.

وصبر الشيخ رفاعي على اعتقال أولاده، ورفض جميع عروض المداهنة والتنازل.
يقول عمر: في أول أيام اعتقالي أغلقوا الزيارة عن أعضاء قضيتي، ثم اتصلوا بأبي وقالوا له: ألا تريد أن تطمئن على عمر؟ فقال لهم: أنا مطمئن عليه. ولما حزنت أمي قال لها: يريدون مساومتي على مبادرة وقف العنف التي أطلقتها الجماعة الإسلامية.

ولما تم ترحيلي إلى سجن أبي زعبل (الخاص بالرافضين للمبادرة) جاء لزيارتي وقال لي: هذا هو الوضع الطبيعي.
ولما قلت له في إحدى زياراته لي: سيد إمام (عبد القادر عبد العزيز) سيقوم بمبادرة؛ دمعت عيناه، ثم سأل الله الثبات، ثم قال لي: كاتب الوحي -عبد الله بن أبي السرح- ارتد عن الإسلام.

ولما تم ترحيلي (لأداء الامتحانات) إلى سجن ليمان طرة، وكان به قيادات الجهاد الموافقون على مبادرة سيد إمام، رفض أن يُكرّر زيارته لي لما أحس بفتح باب المساومات، وتم استدعائي من ضابط أمن الدولة، وسألني: لماذا لا يزورك أبوك؟ فقلت له: لا أعلم، فأخذ رقم الهاتف واتصل بأبي وقال له: الزيارات مفتوحة، ويفضل أن تأتي لتطمئن على عمر؛ فاعتذر عن الزيارة.

وفي أثناء تفعيل مبادرة سيد إمام جاءه أحد الضباط، وقال له: أنا قادم من مكتب وزير الداخلية، وأنا مستعد لحل أي مشكلة عندك؛ فقال له: ليس لدي مشاكل.

هـذه مواقـف يسـيرة مـن مواقـف كثيـرة لا يمكننـي الإفصـاح عنهـا؛ لعلهـا تسـاعد مـن لـم يفهـم كتابـات أبـي على فهمهـا بصـورة صحيحـة.

وتقـول الأخـت ولاء: اعتقـل أخـي يحيـى وهـو ابـن ثمانيـة عشـر عامـا، ورأى أبـي رحمـه الله أمـي وهـى تبكـي لدخـول رمضـان علينـا ويحيـى في المعتقـل، فقـال لهـا: أتكرهيـن أن جمـع الله لنـا أجـر الجهـاد مـع أجـر العبـادة في رمضـان؟!

المطاردات والسجون:

كان الشـيخ رفاعـي مجاهـدا بنفسـه ومالـه ولسـانه لا يحابـي أعـداء الله ولا يداهنهـم، ويصـدع بالحـق دون خـوف أو وجـل، فقـد كان موطنـا نفسـه على التضحيـة بـكل شـيء في سـبيل دينـه، يقـول ابنـه عمـر: قـال أبـي رحمـه الله: (في السـبعينيات رسـمنا خطـة لخـروج أول امـرأة تلبـس النقـاب، ووضعنـا رد الفعـل المناسـب لجميـع احتمـالات الموقـف).

يقـول صهـره خالـد حربـي: كنـت أتكلـم مـرة مـع الشـيخ وكنـا متوقعيـن أن يقبـض علينـا الأمـن، فسـكت هنيهـة ثـم قـال: أتعلـم يـا خالـد، عندمـا تعمـل لديـن الله أنـت تعمـل أساسـا ضـد نفسـك، ويجـب أن تعلـم أن كل حركـة تتحركهـا هـي ضـد أمنـك وسـلامة أسـرتك ومسـتقبلك، وهـذا هـو مفهـوم البيعـة لله.

وقـد بـدأت محنـة المطـاردة والسـجون منـذ أواخـر عهـد عبـد الناصـر، ذكـر ذلـك الشـيخ محمـد حسـين يعقـوب في رثائـه والمهنـدس وسـام عبـد الـوارث والدكتـور عبـد الله الأسـود والشـيخ طـارق الزمـر، ولـم أتمكـن مـن معرفـة تاريـخ أول اعتقـال لـه وكـم دام؟ تقـول ابنتـه: لا أسـتطيع حصـر عـدد المـرات التـي سـجن فيهـا الشـيخ رفاعـي رحمـه الله فلقـد قضـى أيامـه بيننـا إمـا مسـجونا أو مطـاردا، غيـر أن أهـم مـدة سـجن كانـت لـه على خلفيـة أحـداث 1981م لمشـاركته بتأسـيس تنظيـم الجهـاد ومشـاركته في الأحـداث وقـد مكـث في السـجن ثـلاث سـنوات ليخـرج بعدهـا بشـرط الإقامـة الجبريـة، لكـن مـع ذلـك لم

تنتـه بعدهـا الحمـلات الأمنيـة على بيتـه ولـم ينتـه الاعتقـال لمـدد متقطعـة لأسـباب متعـددة كل بحسـب الحـدث في ذلـك الوقـت.

وقـد أخبرنـي الشـيخ أبـو حسـام المصـري أن الشـيخ رفاعـي اعتقـل على إثـر أحـداث الفنيـة العسـكرية بعـد أن ظـل مطـاردا قرابـة عـام، وكان اعتقالـه عـام 1978 أو 1979م وقـد قابـل في السـجن شـكري مصطفـى وناظـره مرتيـن، فاقتنـع مصطفـى وتـرك مذهبـه في التكفيـر، إلا أنـه عـاد مجـددا بسـبب جفـاف بحريـة طبريـة، وهـي علامـة خـروج الدجـال، وهـذا يعنـي أن جماعـة الإسـلام هـي جماعتـه، وكان رأي الشـيخ رفاعـي أن شـكري بحـث عـن الحـق وأخطـأه.

وأخبرنـي أيضـا: أن الشـيخ رفاعـي اعتقـل عقب اغتيـال السـادات، وأضاف أن الشـيخ رفاعي بلغـه أن الشـيخ عبـد المجيـد الشـاذلي يريـد أن يؤلـف كتابـا أن الـذي قتـل السـادات هـي أمريـكا، فاجتمـع بـه وقـال لـه: أنـا مـن خطـط لقتـل السـادات مع عبـد السـلام فـرج وعبود الزمـر وخالـد الإسـلامبولي، والتخطيـط كان في بيتـي في المطرية في الـدور الأول.

وكان الشـيخ رفاعـي لا ينسـى فضـل عبـود الزمـر عليـه؛ لأنـه لـم يعتـرف بمشـاركة الشـيخ رفاعـي في مقتـل السـادات مـع شـدة التعذيـب الـذي لاقـاه عبـود الزمـر، وكان يقـول: أنـا مديـن لعبـود، وظـل على ذلـك حتـى بعـد انحـراف عبـود هـداه الله.

وتقـول الأخـت ولاء: مـن أجمـل مـا تعلمتـه مـن أبـي رحمـه الله: أن على المسـلم أن يوطـن نفسـه أنـه سـيتعرض حتمـا للبـلاء في سـبيل الله مـا دام قـد اختـار ذلـك الطريـق؛ بهـذا يهيـئ نفسـه ويجعلهـا على اسـتعداد لتلقـي الصدمـات ويحميهـا مـن الانهيـار مـع كل بـلاء يمـر بـه. كمـا يجعلهـا على اسـتعداد للبـذل مـا دامـت الـروح في الجسـد، مهمـا اختلـف نـوع العـدو أو الظـروف أو الأحـداث...

ومـن أجمـل مـا قـرأت لـه رحمـه الله: «الذيـن يتلقـون هـذا الديـن على أنـه بـلاء هـم الذيـن يبقـون إلـى النهايـة؛ وأخـذ هـذا الديـن بقـوة هـو ضمـان الاسـتمرار عليـه».

وهـذا مـا أغضـب منـه زبانيـة النظـام المصـري الطاغوتـي فاعتقـل مـرارا وطـورد وأوذي وعـذب في الله عذابـا رهيبـا، ومـع ذلـك لـم يخالـط قلبـه وهـن أو ضعـف، بـل ظـل منتصب القامـة مرفـوع الهامـة مسـتعل بإيمانـه، وكان رجـال الأمـن كثيـري التـردد على منزلـه إمـا لاعتقالـه أو لتفتيـش البيـت أو للتحقيـق معـه، حتـى صـار معروفـا لديهـم، تقـول إحـدى بناتـه: حكـى والـدي أن ضيفـاً جـاء لزيارتـه مـن بلـدة أخـرى، فتـاه في المنطقـة وتعـذر عليـه الوصـول، فقـرر أن يسـأل عـن بيتنـا في قسـم الشـرطة، فلمـا ذهـب إليهـم أرسـلوا معـه عسـكريا أوصلـه إلـى بـاب البيـت.

وتقـول ابنتـه: ومـرة بعـد أن اعتُقـل حملـت أمـي أخـي عمـر على كتفهـا وذهبـت تبحـث عـن أبـي في السـجون كالعـادة، فقابلهـا الشـاويش على بوابـة سـجن القلعـة، وقبـل أن تذكـر لـه الاسـم قـال لهـا: نعـم هـو موجـود هنـا، فقالـت لـه: مـا الـذي أدراك؟ فقـال لهـا: يشـبه الولـد الـذي على كتفـك تمامـا، وبالأمـارة هـو دائمـا جامـع حولـه أصحابـه وهـم يحكـون القصـص والطرائـف ويضحكـون.

ولكثرة اعتقال الشيخ رفاعي صار الأمر عنده معتادا وصار السجن كبيته الثاني.

تقـول ابنتـه: خـرج أبـي رحمـه الله مـن السـجن على شـرط الإقامـة الجبريـة، فـكان لا يسـافر ولـو لزيـارة أمـه في الإسـكندرية إلا بعـد السـماح لـه بذلـك..

وكان كلمـا مـر على لجنـة أو كميـن في الطريـق ونظـروا إلـى بطاقتـه ووجـدوا الاسـم رفاعـي سـرور احتجـزوه حتـى يتصلـوا بالقيـادات؛ فإمـا أن يسـمحوا لـه بالانصـراف أو يأتـي الأمـر باحتجـازه في أقـرب قسـم...
اعتـاد هـو على ذلـك وأقلـم نفسـه على تلـك التصرفـات، وفي إحـدى المـرات احتجـزوه وكان راجعـا مـن طريـق سـفر، وكان مرهقـا جـدا، فـأول مـا دخـل الحجـز افتـرش الأرض ونـام، فسـمع أحـد تجـار المخـدرات في الحجـز يقـول للآخـر: أقطـع ذراعـي إن لـم يكـن هـذا نشـأ وتربـى هنـا.

ومـن صـور العـذاب الجسـدية والنفسـية التـي تعـرض لهـا الشـيخ رحمـه الله مـا ذكـره طبيبـه عبـد الله الأسـود في اتصـال هاتفـي مـع المهنـدس وسـام عبـد الـوارث على قنـاة الحكمـة، فقـال: كان هنـاك تهتـك في الأربطـة في رجلـه، فسـألته عـن ذلـك فقـال: لا داعـي للـكلام، ثـم عرفـت أنـه لِمـا كان في سـجون الظالميـن -وهـو يدخـل السـجن مـن أيـام عبـد الناصـر يدعـو إلـى الحـق ويؤصـل للحـق لا شـيء أكثـر مـن ذلـك-، قـال لـي الشـيخ رفاعـي: لمـا كنـت في سـجن القلعـة كان أحـد المجرميـن يطلبنـي ويقـول: هاتـوا لـي رفاعـي، فـكان يركـب ظهـري ويقـول: اصعـد بـي إلـى الـدور الثالـث؛ ليدخـل دورة الميـاه، إلـى هـذا الحـد مـن الظلـم، ولكـن الشـيخ كان يحتسـب عنـد الله، وكان لا يحـدث أحـدا، ومـا حدثنـي بذلـك إلا لأنـي طبيبـه لأعـرف كيـف أعالجـه مـن هـذا الـذي في ركبتيـه، فعليـه رحمـة الله.

ويقـول الشـيخ طـارق الزمـر: حيـاة الشـيخ رفاعـي هـي وفـاء للمشـروع الإسـلامي، وهـذا نمـوذج فـذ، كتاباتـه تتميـز بالعمـق الشـديد، يجـب أن ننظـر في حياتـه كثيـرا ونتأمـل فيهـا، خاصـة أنهـا حيـاة تمـر بيـن الشـدة والشـدة والاضطهـاد والاضطهـاد، سـواء مـن أيـام عبـد الناصـر أو السـادات أو مبـارك، لـم تكـن هنـاك قضيـة تلفـق أو معتقلـون يسـاقون إلـى السـجون إلا ويتـم اسـتدعاء الشـيخ رفاعـي ليوضـع معهـم في المعتقـل، وذلـك لعلاقتـه المتشـابكة والمتشـعبة مـع التيـارات الإسـلامية، فـأي تيـار إسـلامي يعتقـل أو يضطهـد يؤتـى بالشـيخ رفاعـي ليوضـع معهـم في المعتقـل، وكان يتميـز بالزهـد الشـديد والتواضـع والعفـة، كان في المعتقـل يعيـش على أقـل القليـل ويلبـس أقـل الثيـاب، حتى إنـه أحيانـا قـد لا يجـد نعـلا يلبسـه، ومـع ذلـك لا يطلـب ولا يسـأل، على كثـرة مـا نالـه مـن التعذيـب إلا أنـه كان يقابـل ذلـك بمـا لا يمكـن أن تتخيلـه مـن الفكاهـة والطرفـة والنكتـة، كان يخـرج مـن التعذيـب الشـديد لينكـت كثيـرا متحديـا الجلاديـن أو النظـم الاسـتبدادية الفاسـدة التـي لـم تكـن تعيـش إلا على الظلـم والقهـر والتعذيـب، في إحـدى مراحـل التعذيـب علـم ضبـاط أمـن الدولـة أن الشـيخ صاحـب نكتـة، فقالـوا لـه: لـن ننزلـك -وكان الشـيخ معلقـا يـده إلـى الخلـف إلـى بـاب ممـا يسـبب ألمـا فظيعـا في الكتفيـن- حتـى تقـول لنـا نكتـة -وكانـت القضيـة المثـارة آنـذاك أن الضبـاط كانـوا يحققـون معنـا وأحيانـا ينتزعـون الاعترافـات بعنـف شـديد أو يملـون بعـض الاعترافـات لتحبـك القضيـة

ثـم يقومـون بأخـذ الضحيـة ويرافقونـه حتـى النيابـة وطـوال الطريـق يلقنونـه مـا يجـب أن يقولـه حتـى لا ينسـى المعلومـات، ثـم يفاجـؤون في النيابـة بإنـكاره هـذه المعلومـات ممـا يسـبب صدمـة للضبـاط في أمـن الدولـة- فقـال لهـم الشـيخ رفاعـي: واحـد ضابـط أمـن دولـة كان جالسـا مـع خطيبتـه في كازينـو، فقالـت لـه: أعتـرف لـك بحبـي، فقـال لهـا: يـا خـوفي تنكريـن أمـام النيابـة، فأنزلـوه.

ويقـول أيضـا: كنـت في زنزانتـي فجـاؤوا بالشـيخ ويـداه مقيدتان وعينـه معصوبـة وأقاموه أمـام زنزانتـي يوميـن، فـكان الشـيخ يقـف ثـم يتعـب فيسـقط فيأتـون إليـه ويضربونـه، فيقـوم ثـم يعيـا فيسـقط، فيأتـون إليـه ويضربونـه ضربـا مبرحـا، ثـم وضـع الأكل أمامـه فلـم يـأكل، فعـادوا وضربـوه وأهانـوه.

وتقـول ابنتـه ولاء: كان الشـيخ رفاعـي يرفـض تمامـا الحديـث عـن مـا لاقـاه مـن تعذيـب ويعتبـر ذلـك أمـرا بينـه وبيـن ربـه، لكـن كان في ظهـره علامـة (حفـرة) لـم يكـن يحـب الحديـث عنهـا إن سـألناه وعرفنـا مـن أمـه أنهـا كانـت بسـبب ضربـه بالكرباج في السـجن، وفي إحـدى مـرات اختفائـه لأشـهر بحثـت عنـه أمـي في كل السـجون ولـم تسـتدل على مـكان وجـوده وبعـد أن خـرج علمـت أنـه كان في سـجن القلعـة وقـد فقـد الذاكـرة مـن كثـرة التعذيـب ولـم يكونـوا ليخرجـوه إلا بعـد علاجـه واسـترداد ذاكرتـه حتـى لا يفتضـح أمرهـم.

يقـول حسـام أبـو البخـاري: ذكـرت للشـيخ قبـل وفاتـه بأسـبوع أن ضبـاط أمـن الدولـة يظنـون أن ابـن تيميـة حـي ويتحـرون عنـه والنـووي كذلـك، فقـال لـي: هنـاك مـا هـو أغـرب، مـرة سـألني الضابـط: فهمنـي مـا هـو تنظيم السـلفية؟ فقـال الشـيخ: هـذا تنظيم للأشـخاص الذيـن اسـتلفوا مـالا ولـم يعيـدوه لأصحابـه، فنحـن عملنـا هـذا التنظيـم لإعـادة المـال، فقـال الضابـط: وهـذا يحتـاج تنظيمـا؟ فقـال لـه: هـل رأيـت أحـدا اسـتلف مـالا وأعـاده؟ فقـال: لا، فقـال: لأجـل هـذا شـكلنا هـذا التنظيـم، واقتنـع الضابـط بـكلام الشـيخ الـذي كان يتعجـب مـن جهلهـم وغبائهـم.

وكان الشيخ في السجن يقعد مع الشاويش ويحاول تفهيمه ماذا يريد الطاغوت وما معنى الطاغوت والطغيان والاستبداد.

يقول حسام أبو البخاري: أثناء اعتقاله كان هناك ضباط أمريكيون يأتونه لسؤاله عن بعض الأمور، وقبلها جاء ضباط من المخابرات الأمريكية وطلبوا الجلوس معه، فوجد الضابط فيه علوا عجيبا، فقال: من أين لك هذا العلو؟ فقال: لن تفهم إن أخبرتك، فقال: سأحاول أن أفهم، فقال الشيخ: نحن قدر الله في هذه الأرض.

تقول ابنته رقية: شمس بدران أشهر ضابط تعذيب للإخوان في الستينات مات من عدة أيام عن عمر 91 سنة..
هذا الراجل لم يكن تعذيبه للمسلمين لأن ذلك «عمله» ولا في المقابل المادي المهول المخصص لهذا النوع من الجلادين..
ولا حتى كان يعذبهم لأنه يكره الإسلام السياسي..

شمس بدران كان عنده مشكلة مع (الله)، وكانت حواراته مع ضحاياه أثناء التعذيب في سبّ مباشر لله تعالى وتحدٍ علني له!

حوارات يخشى المرء تكرارها ونقلها، وهي تشبه الحوارات في أفلام الرسالة وفجر الإسلام عندما كانت قريش تعذب المسلمين الأوائل..!

وكانت هذه الحوارات بقدر الله وفضله من عوامل تثبيت المسلمين؛ إذ كانوا يشعرون أنهم في مواجهة الكفر البواح..

أذكر قصة حكاها والدي رحمه الله عن ليلة قضاها في التعذيب على يد شاويش، وفي اليوم الثاني وجد الشاويش يبكي ويقول له: دعيت عليّ يا رفاعي البارحة؟.. امرأتي طلقت وخرب بيتي..

وكان أبـي يحكـي القصـة ويضحـك؛ لأنـه لـم يـدع عليـه وقتهـا، بـل كان الدعـاء بلسـان حالـه وبجـراح جسـده..!

تـرى.. كيـف حـال أحدهـم في التحقيـق معهـم بعـد موتهـم، وهـم في مقـام المسـؤول لا السـائل، وكيـف هـي حلقـات التعذيـب هنالـك..! وكـم مـن شـمس بـدران ينتظـر ضمـة القبـر..

ولـم تكـن مطـاردة زبانيـة النظـام لـه لتمنعـه عـن الدعـوة إلـى الله ونشـر العلـم والسـعي في بنـاء الأمـة.

يقـول عمـر: بعـد وفاتـه حـدّث عنـه الشـيخ الطواهـري -حفظـه الله- بأنـه كان يلقـي الـدروس في المسـجد الـذي كان هاربًـا بجـواره مـن الطواغيـت.

وقـد منـع الشـيخ مـن الخطابـة فـكان يعطـي دروسـا أثنـاء صـلاة التراويـح في المسـجد الـذي يـؤم بـه ابنـه عمـر.

وكان جنـود الطاغـوت كثيـرا مـا يداهمـون بيـت الشـيخ رفاعـي، حتـى إن أبنـاءه عمـر ويحيـى كانـا ينامـان بثيـاب الخـروج اسـتعدادا لأي حملـة اعتقـال، وذات مـرة جـاء الأمـن يريـدون اقتحـام البيـت، فظـل عمـر يمانعهـم حتـى تسـترت النسـاء.

ومـن صـور العـذاب الـذي لقيـه في السـجن لكنـه كان مقرونـا بلطـف الله ورحمتـه، مـا ذكرتـه ابنتـه ولاء فقالـت: حكـى لنـا أبـي رحمـه الله أنهـم عندمـا كانـوا في السـجون في الثمانينـات كان الطواغيـت يأخذونهـم مـن الزنازيـن في أشـد أوقـات البـرد ويجردونهـم مـن ملابسـهم ويجبرونهـم على النـوم على الأسـفلت بأجسـادهم عاريـة، يقـول أبـي: فيلقـي الله علينـا النـوم آمنيـن في سـكينة وكأننـا في بيوتنـا على الفـرش الناعمـة ولا نصحـو إلا على أصواتهـم يطلبـون منـا الرجـوع إلـى الزنازيـن، ثـم ذكرنـا بقـول الله تعالـى: (إِذْ يُغَشِّـيكُمُ النُّعَـاسَ أَمَنَـةً مِنْـهُ وَيُنَـزِّلُ عَلَيْكُـمْ مِـنَ السَّـمَاءِ مَـاءً لِيُطَهِّرَكُـمْ بِـهِ وَيُذْهِـبَ عَنْكُـمْ رِجْـزَ الشَّـيْطَانِ وَلِيَرْبِـطَ عَلَى قُلُوبِكُـمْ وَيُثَبِّـتَ بِـهِ الْأَقْـدَامَ).

ومع كل هذا العذاب وهذه الشدة لم تكن خفة الروح تفارق الشيخ رفاعي.

ومن ذلك: كان الزبانية يضربون السجين إلى أن يعجز عن الوقوف على قدميه، فيأتي إخوانه ويحملونه إلى المهجع، فكان الشيخ رفاعي إذا ضُرب وجاء إخوانه وحملوه واستوى على أكتافهم، قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين.

وأخبرني الشيخ أبو حسام، فقال: كان فؤاد علام يعذب الشيخ رفاعي، فكان يضحك حتى ظنوا أنه به جنونا، فجاؤوا بطبيبين في علم النفس، فقال الشيخ: أنتم تقدمون لي خدمة بتكفير ذنوبي، فزاد فؤاد من تعذيبه حتى شج رأسه، ثم كهربه من مكان الشجة، ولم يكن الشيخ يبالي بذلك.

وأخبرني فقال: كان الشيخ يرى مرحلة الاستضعاف بلاء وذلا ويجب التخلص منها بالإعداد والجهاد.

وتقول الأخت ولاء: كان لأبي رحمه الله خطبة الجمعة في مسجد المنطقة، فجاء الأمر من أمن الدولة لإدارة المسجد بمنع رفاعي سرور من الخطابة..

فطلب الناس منه تعقيبا على الخطبة بعد الصلاة، فجاء الأمر بمنع رفاعي سرور من التعقيب على الخطبة...

ثم جاء رمضان وكان المعهود أن يلقي هو درسا ما بين ركعات التراويح، فجاء الأمر بمنع رفاعي سرور من درس التراويح..

ثم كان العيد وكانت خطبة العيد له كل عام، فجاء الأمر ليلة العيد بمنع رفاعي سرور من خطبة العيد..

بـدأت في تلـك الفتـرة المراجعـات الفكريـة التـي عرضـت على المعتقليـن في السـجون، وكان المطلـوب مـن أبـي رحمـه الله بمـا لـه مـن تأثيـر على الشـباب إقناعهـم بالموافقـة على تلـك المراجعـات أو مـا سـماها الإعـلام المصـري وقتهـا ب (التوبـة)!

تزامـن الأمـر مـع احتـلال الأمريـكان للعـراق ولهفـة الشـباب المصـري المسـلم على السـفر للجهـاد بالعـراق، وكان المطلـوب مـن أبـى أيضـا أن يثنـي الشـباب عـن فكـرة السـفر، مسـتغلين حالـة طاعـة الشـباب وحبهـم لـه..

وفهم أبى المطلوب منه، وكان أن ثبته الله بفضله ورحمته.

وبدأت الاستدعاءات الأمنية لأبي وبدأت معها المفاوضات والمساومات..

ونفـس الضابـط الـذي أصـدر الأمـر بمنـع الـدروس والخطـب هـو مـن اسـتدعاه بمقـر أمـن الدولـة.

- سنحضر لك الفضائيات يا شيخ رفاعي.

الشيخ رفاعي: ومن قال إني أريد الظهور في التلفزيون!

استدعاء ثانٍ..

الضابط: كيف حال عمر في السجن؟

الشيخ رفاعي: أنا مطمئن عليه عندكم.

الضابط: لو تريد ستذهب إلى البيت وتجده هناك.

الشيخ رفاعي: عمر سيخرج بقدر الله.

استدعاء ثالث..

الضابط: سنرسلك لتحج كل سنة..

الشيخ رفاعي: لا، الحمد لله أنا حججت.

وتوالـت الاسـتدعاءات واحـد تلـو الآخـر مصحوبـة بفضـل الله على أبـي بثباتـه وفشـلهم في النيـل مـن دينـه.

ويقـول: ولمـا أصيـب إصابـة خطيـرة وتقـرر لـه إجـراء عمليـة مسـتعجلة، أوقفـوه أمـام

غرفـة العمليـات وسـاوموه على أن يكتـب مـا يرضيهـم، فثبتـه الله وأبـى إبـاء شـديدا، والحمـد لله.

وهـذا الثبـات مـن الشـيخ رفاعـي كان يثيـر إعجـاب بعـض الضبـاط الذيـن يأتـون لمداهمـة بيتـه وتفتيشـه.

تقـول ولاء: لا أنسـى في إحـدى الحمـلات الأمنيـة على بيتنـا وكان يرأسـها ضابطـان؛ اسـتغل أحدهمـا خـروج زميلـه مـن الغرفـة ليقـول لـي بصـوت منخفـض حتـى لا يسـمعه الآخـر: على فكـرة أبـوكِ رجـل محتـرم.

ويقـول عمـر: كان أبـي -رحمـه الله- يقـول لمـن يعذبـه: أتحـداك أن تأخـذ منـي معلومـة، ولمـا هـمَّ أحـد المحققيـن بتدميـره معنويـا، وسـأله: هـل فكـرت مـاذا سـتعمل ابنتـك بعـد أن يحكـم عليـك بالإعـدام؟ قـال لـه مختصـرا الطريـق عليـه: سـتعمل رقاصـة. هـي الآن طبيبـة والحمـد لله.

وتقـول الأخـت ولاء: آخـر مـرة تـم اعتقـال أبـي رحمـه الله كانـت على خلفيـة أحـداث كنيسـة القديسـين، وكان قـد تجـاوز السـتين عامـا، فمكـث في مبنـى لاظوغلـي أسـبوعا وعـاد شـاحب الوجـه هزيـلا، فسـألته: ألـم يكونـوا يطعمونـك؟ فقـال لـي: بالعكـس كانـوا يقدمـون لـي أغلـى الطعـام مـن مطاعـم كبيـرة، ولكنـي كنـت أرفـض طبعـا، سـألته: لماذا؟ فقـال: كان الثمـن توريـط إخـوة في عمليـة الكنيسـة.

رحم الله كل شاب جعله الطغاة كبش فداء لدماء أسالوها بأيديهم.

اهتمامه بتربية أولاده:

كان الشيخ رفاعي حريصا على أن يكون أهل بيته مثالا للأسرة الملتزمة بدين الله المتمسكة به، ولذلك كان لا يدع صغيرة ولا كبيرة من أمور الدين إلا علمهم إياها وحببهم بها وضرب لهم الأمثال حتى تستقر في قلوبهم، ولم يكن يلتفت إلى ما يلقيه الشيطان في قلوب بعض الناس من أن الأولاد ما زالوا صغارا وأن هذه العبادة شاقة عليهم.

يقول ابنه عمر رحمه الله: تعلمت من أبي -رحمه الله- أن دعوة الداعية لأهله بيته تكون قبل دعوته لغيرهم، وآكدَ منها، ومُعينًا عليها، وأخلصَ لله منها، وأبقى أثرًا بعدها، وأيسرَ منها.

وتقول ابنته ولاء: علاقة الشيخ بأبنائه لم تكن علاقة أب وابن أو بنت، بل كانت علاقة منهج ورسالة، كان يعلمنا الانتماء للمجاهدين من خلال حكايات قبل النوم، فقد كانت عن المجاهدين والشهداء والمعتقلين، لقد ربطنا بهم من غير أن نلتقي بهم، كان يعلمنا الولاء للإسلام والمسلمين بحيث لا يحتاجك مسلم إلا وتعينه ولو أن تبيع متاع دارك، لقد فقدنا بفقده منهج ورسالة أكثر من فقدنا أبا.

وأكثر أمر كان يهتم به الشيخ رفاعي في تربية أبنائه هو القرآن.
يقول عمر: شكت له أمي شدة من يحفظنا القرآن، فقال لها: عندما أخرج من السجن إما أن أجدهم حافظين للقرآن أو مَيِّتين.

ويقول: وجد مني تقصيرًا مع القرآن، فقال لي: عندما يكون اثنان يحبان بعضهما جدا وأحدهم يريد أن يصالح الثاني يبدأ معه بكلمة خفيفة.. يظهر نفسه يريد منه شيئا، كذلك القرآن، يمكن أن تبدأ بقل هو الله أحد والمعوذتين.. ولن يمضي وقت طويل إلا وتنتهي من حفظ قصار السور ثم تعود العلاقة أفضل من ذي قبل؛ فانتفعت بوصيته جدًّا والحمد لله.

ويقـول: أفضـل مـا ربانـا بـه أبـي -رحمـه الله- ونحـن صغـار: الذهـاب إلـى المسـجد لصـلاة الفجـر، في الليالـي البـاردة، قبـل النـداء، مهمـا كانـت الظـروف، أذكـر أنـه أيقظنـا في إحـدى الليالـي البـاردة ولـم يجـد المفتـاح ففتـح الشـباك وقفـز ثـم حملنـا الواحـد تلـو الآخـر لإدراك الجماعـة، فـكان فعلـه أبلـغ مـن ألـف كلمـة.

ويقـول: خيـرُ مـا أدّبنـا بـه أبـي رحمـه الله صقيـعُ الفجـر في المسـجد، ثـم جلسـة أذكار الصبـاح بعـده.

ويقول: قراءة أبي -رحمه الله- عليَّ وِرْدَه من القرآن وأنا طفل صغير علّمتني أن القرآن منهج للكبير قبل الصغير، وليس منهجًا إلزاميًّا للأطفال وفقط، كما علّمتني أيضًا أن تصحيح الأخطاء يمكن أن يقوم به الصغير للكبير، وحفظت سورة البقرة حفظًا جيّدًا لكثرة ما كان يُكرّرها.
قراءتك على ولدك لها أثر عظيم جدًّا على تآلف قلوبكما.

ويقـول: سـألت أبـي -رحمـه الله- عـن الحكمـة مـن تكـرار الذكـر مـع أن الكلمـات واحـدة، فقـال: يـزداد القلـب تصديقـا بمـا يكـرره اللسـان.

ويقـول: اصطـاد أبـي -رحمـه الله- سـمكة كبيـرة؛ ولمـا سـألته عـن طريقـة صيدهـا، قـال لـي: كنـت أسـتغفر.

ويقـول: علمنـي أبـي: أن العبوديـة ليـس معناهـا ألا تـزل، إنمـا العبوديـة أن تنهـض بعـد الزلـة وتكمـل الطريـق.

ويقـول: تعلَّـقَ قلـب أبـي -رحمـه الله- بالقـرآن، واجتهـد أن يعلـق قلوبنـا بـه، فـكان يسـألنا عـن بعـض المعانـي والمناسـبات في السـور والآيـات، ويضـع للإجابـة جوائـز كبيـرة. وتقـول ابنتـه رقيـة: ومما كان لـه عظيـم الأثـر في تربيتـي وإخوتـي فكريـاً على يـد أبـي رحمـه الله.. وجـود مكتبـة كبيـرة بالبيـت.

وإن لـم يلـزم أحـداً بالاطـلاع عليهـا، فوجودهـا قبلـة بالبيـت، كان سـبباً في شـغل الفكـر والأدب حيـزاً في عقـول أبنائـه..
وهـو نفـس الحيـز الـذي تشـغله المكتبـة في البيـت، وتشـغل مـن وقتـه وهـو منهمـك بهـا لسـاعات ونحـن نـرى منـه ذلـك..

وكان ترتيـب الكتـب بهـا لـه أثـر تربـوي عظيـم، فـكان يضـع كتـب التـراث الأم في الواجهـة ولـم تتحـرك مـن المكتبـة أبـداً منـذ أربعيـن سـنة، أذكـر أن كتـاب تفسـير ابـن كثيـر كان يترهـل ثـم يتقطـع بمـرور الوقـت والاسـتخدام، فيأتـي بنفـس الكتـاب نسـخة جديـدة ويضعهـا مكانـه، حـدث ذلـك خمـس مـرات أو أكثـر، فتعلمـت مـا يكـون «تفسـير ابـن كثيـر»، ثـم لسـان العـرب لابـن منظـور وكتـب الحديـث السـتة ومعهـم فهرسـة للبحـث عـن الحديـث بلفـظ فيـه، وفتـاوى ابـن تيميـة ومصنفاتـه وكتـب ابـن القيـم، وعلى الـرف التالـي يأتـي الظـلال متربعـاً بطبعاتـه المتعـددة أيضـاً، ثـم كتـب محمـد قطـب، ثـم تنهـال الكتـب والكتيبـات الأخـرى، وعندمـا أراد -رحمـه الله- الاطـلاع على كتـب النصـارى كان مكانهـا في صنـدوق كرتونـي مغلـق في غرفـة الكراكيـب (تعنـي الأشـياء المهملـة)، يعـرف مكانـه الجميـع لكنهـم تعلمـوا مكانتـه، وتعلمـوا كيـف يكـون الاطـلاع على جميـع المشـارب مـع حفـظ أولوياتهـا.

وتقـول أيضـا: رقيـة: أكثـر كلمـة مـن والـدي لا يـزال صداها يتـردد في أذنـي من كنـت طفلة وإلـى الآن: ناوليـني المعجـم المفهـرس، فكنـت أقـول لـه: ألفـاظ القـرآن أم الحديـث؟ وأنـا أود أن يقـول: الحديـث؛ لأن المعجـم المفهـرس لألفـاظ القـرآن مجلـد واحـد لمؤلـف اسـمه فـؤاد عبـد الباقـي، والمعجـم المفهـرس للحديـث كان مجلـدات كثيـرة جـدا والمجلـد فيهـم كان يـزن نصـف وزنـي تقريبـاً، وهـو مـن تأليـف جماعـة مـن المستشـرقين منهـم: جـان فينيسـك وهـور خرونيـه، هـذه الكتـب كانـت تقـوم مقـام محـرك البحـث جوجـل حينـذاك، تبحـث عـن لفـظ في آيـة أو حديـث فيذكـر لـك المواضـع جميعهـا التـي وردت فيهـا تلـك الكلمـة، ولـو وردت في بضعـة أحاديـث فتذكـر تلـك الأحاديـث جميعـا بالسـند والمتـن التـي وردت فيهـم تلـك الكلمـة.. وكان أبـي يعلمنـي كيـف أرد أي كلمـة إلـى مصدرهـا الثلاثـي أو الربـاعـي، وكيـف أبحـث عنهـا بالحـرف الأول ثـم الثانـي ثـم الثالـث..

الحديـث خصوصـا كان عمـلا ثقافيـا صعبـا وطويـلا جـداً، كنـت أسـتغرب كيـف ألـف المستشـرقون هـذا المعجـم مـع أنهـم أوربيـون فليسـوا عربـا ولا مسـلمين، فسـألت والـدي مـا الـذي دفعهـم لبـذل هـذا المجهـود الرهيـب؟ فعرفنـي أن حضارتهـم وعلاقتهـم بالتراث الإسـلامي قامـت على البنـاء والهـدم، قـال: القانـون الفرنسـي مثـلاً هـو مذهـب الفقـه المالكـي! القيـم المجتمعيـة فيمـا يخـص حقـوق الأفـراد والمجتمـع وفقـه المعامـلات كلها التـي قامـت عليهـا أوروبـا في العصـر الحديـث كانـت بفضل سـنوات العمـل الطويلـة لهؤلاء المستشـرقين ونهلهـم مـن كتـب السـنة بالفهرسـة والترجمـة والنقـل ثـم الصياغـة إلـى قوانيـن بشـكل حديـث.

ثـم مرحلـة الهـدم في تشـكيك المسـلمين بصحيـح مصادرهـم، وجدواهـا وجوهرهـا ولـن يكـون ذلـك إلا بدراسـتها أيضـاً..

بعـد ذلـك ظهـرت محـركات البحـث وأولهـا قبـل انتشـار الإنترنـت: كان برنامـج «المحـدث» على أسـطوانة، أذكـر أن أبـي رحمـه الله كان يعاملهـا معاملـة أحـد أبنائـه، وأُحلـت أنـا وكتـب المستشـرقين إلـى التقاعـد بعدمـا نهلـت -بـدون قصـد- مـن كل كتـب الحديـث وصـارت معانيهـا في عقلـي كشـيء بديهـي جـدا، حتـى لـو كنـت لا أحفـظ المتن والسـند حفظـاً..

فكـرة تربويـة جميلـة جـدا هـي القـراءة -مجـرد القـراءة- في كتـب الحديـث مـع الأطفـال بـدون إرهاقهـم في الحفـظ والتسـميع ثـم الاسـتمرار على ذلـك بفكـرة (المعايشـة) - تجدهـا بعـد وقـت أصبحـت جـزءا مـن ضمائرهـم.

ويقـول عمـر: علّمنـا أبـي -رحمـه الله- تعظيـم الأحـكام الشـرعية بالتنـازل عـن بعـضٍ مـن مقـام الأبـوَّة، فرفـع الله قـدره في قلوبنـا.

أَذْكـر أننـي كنـت أُكثـر مـن لعـب الشـطرنج وأنـا طفـل صغيـر، وكان أبـي يـرى تحريمـه ولا

يحبه، ولما منعني ناقشته بأنه ليس بحرام، فاحترم رأيي، ولم يجبرني بِسُلْطة الأبوّة، فعظَّمَ في عيني الكلام في دين الله، لما رأيت أبي سكت عن شيء يكرهه ويرى حرمته لمجرد ذكري لأدلتي؛ لكنه أقنعني بتركه لما أيقظني لصلاة الفجر فوجدني أقول وأنا نائم (كش ملك)، فقال لي: هل ترضى أن تقولها في قبرك؟! ففزعت واجتنبتها.

ولما كان يجمعنا لأذكار الصباح والمساء كان يَنْهر المتكاسل منّا، ويُجبِره على الجلوس؛ وفي إحدى الجلسات قال له أخي يحيى: الاجتماع على أذكار الصباح والمساء بدعة؛ فألان له أبي -رحمه الله- القول، ولم ينهره أو يزجره، بل تَلطّف معه في بيان مشروعية ذلك إن كانت للتعليم أو للتشجيع.

كثيرة هي تلك المواقف التي كان يتنازل فيها عن بعض من سلطة الأبوّة ليزداد في قلوبنا تعظيم حرمات الله، فأبى الله إلا أن يجعل قدره في قلوبنا عظيمًا رحمه الله.

ويقول عمر: سألت أبي -رحمه الله- عن علامة القبول في مواسم المغفرة، فأجابني: المداومة على الطاعة بعدها.

ويقول: وصَف لي أبي -رحمه الله- الإخلاص، فقال: كثرة الأسرار بين اثنين تدل على عظيم المحبة بينهما.

وتقول ابنته أسماء: كان أبي -رحمه الله- حريصًا على إيقاظنا لصلاة الفجر أكثر من حرصه على استيقاظنا للمدرسة، فَوفَّقَنا الله جميعًا في دراستنا والحمد لله.

ويقول عمر: وأنا صغير قلت لأبي رحمه الله: النجوم كثيرة وشكلها جميل، فقال لي: استغفر وسترى أكثر؛ فتعلمت العلاقة بين التفكر والذكر، ووجدت فيهما حياة القلب. وتقول ابنته ولاء: مما أحمده لأبي رحمه الله أنه كان يشركنا ونحن صغار فيما يمر

بـه مـن أحـداث، فـكان يسـرد علينـا كل موقـف يمـر بـه عظـم الموقـف أم صغـر، ويحكـي رد فعلـه تجـاه الموقـف، ويناقـش في تفاصيلـه ويوضـح كل جوانبـه...

وبحكـم أنـه رحمـه الله قـد سـخر بيتـه مفتوحـا لحـل مشـاكل المسـلمين سـواء المشـاكل الاجتماعيـة أو الاختلافـات الفكريـة بيـن التيـارات أو غيرهمـا مـن المشـاكل، وجدنـا أنفسـنا قـد انخرطنـا في أمـور تكبـر أعمارنـا بسـنوات..

حتـى إنـه إذا حضـر الزوجيـن إلـى البيـت لخـلاف بينهمـا كان يطلـب منـي وأنـا في سـن صغيـر أجلـس مـع الأخـت وأسـمع منهـا.

وهـو يسـمع لـلأخ، ثـم يقـول لـي مبتسـما وكأنـه يمتحـن ذكائـي: هـا، في رأيـك مـن المخطـئ منهمـا؟
أمـا إخوتـي عمـر ويحيـى فـكان يتعمـد تركهـم مـع الضيـوف الرجـال ليتعرفـوا وهـم صغـار على التوجهـات المختلفـة واختـلاف الشـخصيات وتنـوع الرجـال باختـلاف طبائعهـم..

كان يـرى في ذلـك توسـعة لمـدارك الأبنـاء وقفـزا بعقولهـم وأذهانهـم للأمـام، وكان يـرى فيـه احتراما لعقولهـم وارتقـاءً بشـخصياتهم في بدايـة نشـأتها...
كان يلـوم بعـض الدعـاة على وجـود الفجـوة بينهـم وبيـن أبنائهـم، فـالأب الداعيـة في واد وأبنـاؤه في واد لا يدركـون مـا يمـر بـه ولـم يسـتفيدوا مـن تجاربـه..

وسـبحان الله، لـم نجـد في فعلـه هـذا ضغطـا على أعصابنـا أو كبتـا لطفولتنـا، أو أنـه يحملنـا فـوق طاقتنـا وفـوق مـا تحتملـه أعمارنـا...

وإن حـدث ورأى منـا بعـض التمـرد الطفولـي لعـدم الاسـتقرار وكثـرة الضيوف وقلـة الاجتماع الأسـري على الطعـام كان يتقبـل ذلـك التمـرد ويعتبـره سـلوكا إنسـانيا متوقعـا لكنـه كان يحتويـه بكلمتـه الرائعـة: «حسـنا، لأجـل الدعوة».
تلـك الكلمـة ذات النغـم الجميـل التـي كانـت تحمـل الرسـالة الراسـخة: أن مـا نحـن فيـه

هـو المنهـج الطبيعـي الـذي يجـب أن يكـون عليـه كل بيـت مسـلم، وأن مـا نتحملـه ومـا نمـر بـه مـن عقبـات هـي السـلوك الصحيـح لهـذا الطريـق الـذي اختـاره لنفسـه ولأبنائـه.. «حسنا، لأجل الدعوة».

تلـك الكلمـة التـي فهمنـا منهـا أن هـذا الأب لـم يعشـق في حياتـه شـيئا مثلمـا عشـق الدعـوة، وأن حبـه للدعـوة ونصـرة المسـلمين فـاق حبـه لهـم وهـم فلـذات كبـده..

فـكان أن غـرس الله حبـه في قلـوب أبنائـه، حتـى إنهـم جميعـا يرجـون مـن الله إن كتـب لهـم خيـرا في الدنيـا والآخـرة أن يكـون ذلـك الخيـر في ميـزان حسـنات أبيهـم قبـل ميزانهـم.

وربمـا مـزج الشـيخ رفاعـي تعليمـه أولاده بشـيء مـن الفكاهـة والمـزاح ليدخـل بذلـك السـرور على قلوبهـم.

يقـول عمـر: كان أبـي في العيـد كلمـا نظـر إلـيّ رآنـي آكل، فكنـت أخفـف عنـه بقـول النبـي صلـى الله عليـه وسـلم: (أيـام أكل وشـرب وذكـر لله) فيقـول لـي ممازحـا: وأنـا لـم أر منـك غيـر الأكل والشـرب فقـط!
وكان يهتم بغذاء أولاده وتربية أجسامهم ويتلطف في إطعامهم بعض ما يكرهون.

تقـول رقيـة: كثيـر مـن مشـاكل الحفـظ والتركيـز والتحصيـل الدراسـي يكـون سـببها سـوء التغذيـة، كان والـدي رحمـه الله لا يقطـع عسـل النحـل والتمـر مـن البيـت، ولمـا كنـت أجـزع مـن العسـل كان يخلطـه في الخـلاط مـع المـاء فتعلـوه رغـوة، فيقـول لـي: انظـري لقـد أصبـح كعصيـر القصـب، الله يرحمـك يـا حبيـب.

وربمـا عاقـب أولاده إذا وجـد منهـم تقصيـرا في أمـور الديـن مـع تزهيدهـم في شـؤون الدنيـا.

تقول ابنته ولاء: لما رآني أبي يوم نتيجة الثانوية وقد اصفر وجهي وارتعشت يدي من التوتر، قال لي في رحمة: فأين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شيء بقدر الله؟ ونحن نعمل للدعوة سواء بالشهادات والكليات أو بغيرها، لكنه غضب من أخي وخاصمه يوما كاملا لما أخر صلاة العصر حتى اصفرت الشمس، هكذا كان ميزان الدنيا والآخرة في عقله وقلبه رحمه الله.

ولم يكن اهتمامه مقصورا على أولاده فقط بل كان يهتم كذلك بأحفاده أيضا.
يقول ابنه عمر: اهتمام أبي -رحمه الله- بأبنائنا كان عظيما لا سيما حين كنت معتقلا، أذكر أنه في إحدى زياراته لي انتقد لعب الأطفال التي كنت أرسلها لعبد الله من داخل السجن، وكان انتقاده لها أنها ستعمل على أن تجعل أفقه ضيقا لأنها كانت من نوع واحد، فقلت له: هذا ما عندنا.

موقفه من المشايخ المداهنين للطاغوت:

كان الشيخ رفاعي يبغض العلماء والمشايخ الذين وقفوا في صف الطاغوت وناصروه، فهم بفعلهم هذا قد سقطوا في مستنقع الإثم والفساد.

يقول حمزة أبو زهرة: في إحدى المرات كنت أتكلم مع الشيخ رفاعي عن مداهنة شيخ لطاغوت بشكل مبالغ فيه، فقال لي: هؤلاء الناس -يا أخ حمزة- مثلهم مثل من أخذ يجري وراء الحرامي إلى أن سبقه.

ويقول أيضا: لما سقط من الشيوخ من سقط بمداهنة الطواغيت؛ قلت للشيخ رفاعي سرور -رحمه الله-: ما هذا الذي يحصل يا مولانا؟ قال لي: -وهو يتمزق ألمًا-: لا تستغرب يا أخ حمزة؛ الدعوة تمر بالفصول الأربعة، ونحن في خريف الدعوة، زمن سقوط الأوراق الجافة، الأوراق المنقطعة عن الماء، والماء: الوحي.

ويقول أيضا: حدثت مرة سيدنا الشيخ رفاعي سرور -رحمه الله- عن فلان من المشايخ الذي كان قد بدأ في الانحراف أول ما ظهر في الإعلام؛ فقلت له: لماذا لا يرجع إلى

رشـده ويراجـع نفسـه؟ فقـال لي: الشهرة -يا أخ حمزة- مثـل الهيروين؛ أول شمة مجانـا، ثـم يعتادهـا الإنسـان ويدمـن عليهـا.

ويقـول عمـر: تذكـرت أبـي -رحمـه الله- وهـو يقـول لـي: نحـن بحاجـة لأن يكونـوا آدميين (أي الواقفيـن في صـف الطاغـوت) أولاً ليفهمـوا الإسـلام.

قوة بصيرته وبعد نظره:

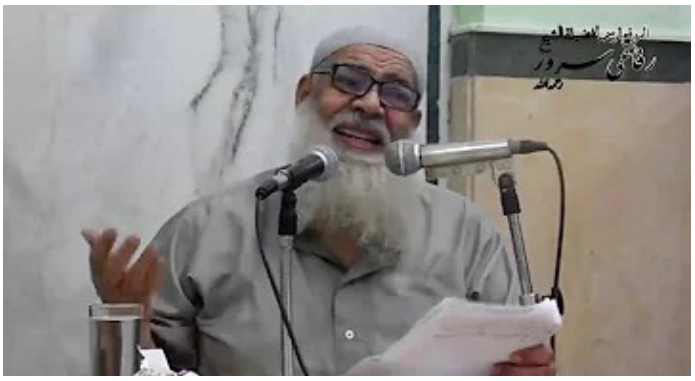

لـم يكن الشـيخ رفاعـي يغتـر بظواهـر الأمور أو يخدعـه زخـرف القـول أو تنطلـي عليـه ألاعيـب وحيـل أعـداء الله، بـل كان ينظر إلى الأمـور بفراسـة المؤمـن فتظهـر الحقيقـة أمامـه عاريـة لا يحجبهـا عنـه شـيء، فعنـد سـقوط مبـارك علـم أن النظـام المصـري ودولتـه العميقـة وأجهـزة المخابـرات مـا زالـت كمـا هـي ولـم يتغيـر فيهـا شـيء.

تقـول ابنتـه رقيـة: عندمـا تنحـى مبـارك جريـت إلـى الشـيخ رفاعـي وقلـت لـه: عملنـا في سـبعة عشـر يومـا مـا عجزتـم عـن عملـه في سـبعين سـنة، فضحـك وسـكت، والآن فهمـت سـبب ضحكه.

وتقـول: مـن حكايـات مـولاي وقـرة عينـي وأبـي، أنـه حكـى لنـا أن مجموعـة مـن ضبـاط أمـن الدولـة اسـتدعوا أحـد الإخـوة وهـم في المعتقـل، ثـم قربـوه إليهـم وتـوددوا لـه حتـى صـار حديثهـم بـلا ألقـاب، أي كأنهـم قـد أعلـوا مـن قـدره إليهـم بتبسـطهم معـه، وبعـد وقـت أهانـوه إهانـة شـديدة وسـبوا أبويـه إذ هـو يجالسـهم ويحادثهـم وينتـوي شـرب الشـاي معهـم! فكأنمـا قـد صعـدوا بـه فـوق جبـل ثـم قذفـوه مـن عـلٍ، فقـال أبـي: إنهـا أفـكار اسـتخباراتية معروفـة، في إعـلاء المـرء قبـل إهانتـه فتنكسـر مروءتـه، وإن العيـب على مـن آمـن لهـم وفـرح بالقـرب منهـم، الحمـد لله أنـه قـد رحـل قبـل أن يـرى غالـب الحركـة في موقـف صديقـه البئيـس!

ويقـول ابنـه عمـر: في الثمانينـات، اسـتدعى الضابـط أحـد الأسـرى وقـال لـه: يـا شـيخ فـلان هـذا الخاتـم الـذي ألبسـه حـرام أم حـلال؟ فقـال لـه: حـرام، فخلعـه الضابـط ورمـاه، ولمـا هـمّ أحـد العسـاكر بأخـذه سـبّه الضابـط سـبًّا شـديدًا، وقـال للشـيخ: جـزاك الله خيـرًا يـا مولانـا ربنـا يحفظـك ويبـارك في علمـك؛ حـذّره أبـي -رحمـه الله- مـن أنهـا خطـة مـن الضابـط للإيقـاع بـه، فتهكّـم مـن أبـي وظـل يتـردد على مكتـب الضابـط، حتـى صـار مـن أكبـر عملائهـم، ورآه أبـي يجهّـز للضابـط شـرابا للضيـوف.

وكان يعلـم أن الطواغيـت لا يؤلمهـم شـيء كالجهـاد، وأنهـم قـد يسـمحون بمسـاحة واسـعة للدعـوة لمـدة معينـة ريثمـا يفرغـون مـن المجاهديـن ويقضـون عليهـم، ولهـذا فعلـى العالـم الربانـي الحـذر مـن الاغتـرار بهـذه الفسـحة فيطعـن بالمجاهديـن.

ويقـول: أوائـل التسـعينيات قيـل لأبـي -رحمـه الله - عـن أحـد الدعـاة: إنـه يُنـدِّد على المنبـر بالعمليـات العسـكرية التـي كانـت تقـوم بهـا الجماعـة الإسـلامية، بحجـة أنهـا تؤثر على الدعـوة؛ وقـد كانـت دعوتـه مُركّـزةً على التوحيـد والكفـر بالطاغـوت وتعليـم النـاس أدلـة تكفيـره وكيفيـة الـرد على شـبهات المرجئـة، وكان رواد مسـجده يُعـدُّون بـالآلاف، فلـم ينظـر أبـي إلـى كل تلـك المصالـح، ولا إلـى حبـه لهـذا الخطيـب، ولا إلـى اتفاقـه معـه في دعوتـه واختلافـه مـع الجماعـة الإسـلامية في كثيـر مـن سـلوكها؛ وقـال: قولـوا لـه: بقـاؤك على المنبـر حسـنة مـن حسـنات تلـك العمليـات، وعندمـا يفـرغ الطواغيـت مـن الجماعـة الإسـلامية سـيأتي الـدور عليـك وعلى دعوتـك. وقـد كان.

وتقـول الأخـت ولاء: نقلـت لأبـي رحمـه الله كلام أخـت تقـول فيـه: إن تصرفـات الجماعـة الإسـلامية في التسـعينات جـرَّت على المسـلمين ويـلات مـع النظـام المصـري، فـرد بغضـب: قولـي لهـا لـولا الأعمـال التـي قامـت بهـا الجماعـة الإسـلامية لمـا كنـت تمشـين في الشـارع وأنـت تلبسـين نقابـك.

ويقـول عمـر مسـتفيدا مـن أبيـه: انتقـاد المجاهديـن بجهـل، وذمُّهـم بغيـر حـق، يُزيِّـن للنـاس القعـود عـن الجهـاد بدعـوى أن المجاهديـن متفرقـون، أصحـاب هـوى و... و...،

حدثني أبي -رحمه الله- أن احتلال الأقصى تبعه إشاعة أشاعها طواغيت العرب وقتها أن الفلسطينيين يستحقون ما جرى لهم لأنهم هم الذين باعوا أرضهم؛ وأخذ الناس في ترددها وقعدوا عن نصرة الأقصى حتى استقر الأمر لليهود.
انصح بعلم وحكمة، وسدد وقارب، وادع لهم، فهم صفوة الله من خلقه، ولولا أن الله ابتعثهم لكُنَّا ذمة لأهل الكفر.

ويقول: كنت أتأثر -وأنا طفل صغير- بالخطب الحماسية والوعظية، وأرى من أبي عدم ارتياح لاستماعي إلى بعض هؤلاء الخطباء، لكنه لم ينهني عن الاستماع إليهم وعلّمني -بذكاء شديد- كيف أرى الحقائق بعيدًا عن الزينة المحيطة بها، فقال لي: فلان يجهز الخطبة بشكل جيد؛ تعجبت لتعليقه وانتبهت لمعنى (تجهيز الخطبة)؛ ثم رأيت أن الخطباء الذين كانوا (يُجهّزون) الخطب هم الآن يعبدون الطاغوت.

ويقول: بعد كتابة أبي -رحمه الله- كتاب (المسيح دراسة سلفية) عرض عليه أمن الدولة إنشاء مركز لمقاومة التنصير؛ فأبى إيمانا منه أن الحق وحده هو القادر على إزهاق الباطل، وأن الجاهلية واحدة وإن تعددت صورها، وأن معول الجاهلية لا يعمل إلا لهدم الإسلام.

ويقول: قديمًا كان السلفيون في مصر من عبَّاد آل سعود يتباهون بأعمال ما يعرف بالحسبة التي كانت تكسر أطباق الستالايت، وتفتش عن كاميرات المحمول، وتجبر الناس على إغلاق المحلات في أوقات الصلوات بطريقة سيئة، وتمنع النساء من ركوب السيارات؛ في وقت كانت قواعد الصليبيين العسكرية متمكنة من بلادهم وتُمارَس فيها كل ألوان الرذيلة والفجور ولا يستطيع أحد أن يتكلم ولو بكلمة، فكان أبي -رحمه الله- يقول لهم: هؤلاء لا يريدون الشريعة، هؤلاء يربون جيلاً كارِها للشريعة وسيأتي اليوم الذي ينتفضون فيه على الشريعة نفسها، فتسهل بقية المهمة على الطاغوت، ويظهر كالبطل المُخلّص لهم من الظلم، وقد جاء ذلك اليوم.
ويقول: سأله الدكتور حسام أبو البخاري -فرج الله كربه- عن ياسر برهامي -قبح الله وجهه-، فأجابه من غير تردد: هؤلاء أعداؤنا.

ويقـول: سـمِعتْ أذنـي وشـهدت عينـاي أثنـاء الثـورة الليبيـة جـاء بعـض المجاهديـن إلـى أبـي -رحمـه الله- يسـتفتونه في بعـضٍ مـن نـوازل الثـورة، فقـال لهـم: علمـاء ليبيـا هـم الأحـق بالفتـوى في تلـك النـوازل؛ لأنهـا منطقـة حـرب وقتـال، والخطـأ في الحكـم أو في نقلـه يمكـن أن يشـعل حربًـا بيـن المجاهديـن أنفسـهم.

وصـدق رحمـه الله.. فالقتـل الـذي اسـتَحرَّ بيـن المقاتليـن بعضهـم مـع بعـض -نتيجـة لتجـاوز علمائهـم- أكثـر ممـا حـدث بيـد عدوهـم.

ويقـول: لمـا علـم أبـي -رحمـه الله- بوفـاة الشـيخ ابـن بـاز رحمـه الله =حمِـد الله؛ ولمـا تعجبـت، قـال لـي: الفتـن القادمـة شـديدة.

ولما علم بمقتل الزرقاوي -رحمه الله- مرض مرضًا شديدًا.
فأدركـت الفـرق بيـن عالـم -وإن كان ربانيًّـا- تحـت حكـم الطاغـوت، وبيـن مجاهـد يقاتـل الطاغـوت.

ويقول: كان أبي -رحمه الله- يُحسن النظر إلى أقدار الله بطريقة عجيبة.
قلـت لـه: هـؤلاء (يعنـي جماعـة الدعـوة والتبليـغ) لا يفعلـون شـيئا غيـر إدخـال النـاس المسـجد.

فقال لي: دعهم يفعلون ذلك، وانشغل أنت بدعوة من في المسجد.
قلت له: هؤلاء الغلاة خطر شديد على الأمة.
فقال لي: وأيضا يمثلون جهاز إنذار لمن يهم بالانحراف.
لمـا مدحـه أحـد الذيـن سـبقوه بالإيمـان وأكثـر في المـدح، أجابـه بكلمـة واحـدة مختصـرة تحمـل الكثيـر مـن المعانـي، قائـلا: لسـت إلا أثـرا لكـم.

قال له أحد ضباط المخابرات الأمريكية: هناك حرب إبادة على المسلمين في البوسنة.
فقـال: لـم يكـن المسـلمون هنـاك يعرفـون الإسـلام، وبعـد حربكـم تعرفـوا على الجهـاد،

ولـم تكـن الأمـة تشـعر بأحـوال المسـلمين هنـاك حتـى انتبهـوا بعـد حربكـم، ثـم أنهـى اللقـاء معـه بقولـه: نحن قدر الله النافذ.

قلـت لـه: مذابـح المسـلمين انتشـرت في أماكـن كثيـرة، فقـال لـي: هـذه حجامـة لجسـد الأمـة لكـي تسـترد عافيتهـا.

قلـت لـه في أول زيارتـه لـي: مـا رأيـك في السـجن؟ فقـال لـي: العلـم والذكـر والرياضـة، وكررهـا ثلاثـا.

قيـل لـه: تـم ترحيـل عمـر لسـجن الـوادي الجديـد، فقـال: الجـو هنـاك جـاف وسـيتخلص مـن الرطوبـة.

قالـت لـه أمـي: هـذا أول رمضـان لعمـر في السـجن، فقـال لهـا: ربنـا جمـع لنـا بيـن الصيـام والجهاد.

قيل له: المجلس العسكري أدى التحية العسكرية لشهداء يناير.

فقال: هذا شيء يُفرح الأطفال الصغار.

قلـت لـه وأنـا في السـجن: مـاذا تعمـل هـذه الأيـام؟ فقـال لـي: أنهـي كتـاب التصـور السياسـي وبعـض المقـالات ثـم سـأذهب؛ يعنـي المـوت.

قيل له أشياء كثيرة سيئة، لكنه كان يستخرج حسناتها بصورة عجيبة.

علاقته بالجماعات الإسلامية:

تقـول ابنتـه ولاء: كان والـدي رحمـه الله على علاقـة طيبـة بجميـع الاتجاهـات داخـل التيـار الإسـلامي مـن بـاب الإصـلاح والاحتـواء، وقـدّر الله لـه قبـولاً منهـم جميعـا، ربمـا لأنـه رفـض اسـتغلال خلـل التكفيـر للظهـور بمظهـر المعتـدل أمـام السـلطة أو المجتمـع. أذكـر مـرة أن جـاءه مجموعـة مـن التكفيريـين على خـلاف؛ للاحتـكام في مشـاكل عائليـة بينهـم، وفي تفاصيـل المشـكلة علـم أن الطرفيـن يكفّرونـه، فأكمـل بينهـم الإصـلاح، وقـال لهـم: مـن الجيـد أنكـم اتفقتـم على شـيء.

ومـن الطرائـف التـي جـرت معـه أثنـاء تدخلـه في الإصـلاح بيـن زوج وامرأتـه مـا ذكرتـه ابنتـه ولاء، فقالـت: كان في المنطقـة عندنـا رجـل كثيـر الخصـام مـع زوجتـه وأولاده، فيعلو

صوتـه ويتلـف مـا يجـده أمامـه مـن أغـراض في البيـت، فيتصـل أولاده بالشـيخ رفاعـي فيسـرع ليصلـح الأمـر، وفي إحـدى المـرات اتصلـت زوجتـه وابنتـه بالشـيخ وقالتـا: الحقنـا يـا شـيخ رفاعـي، فذهـب الشـيخ وجلـس مـع الرجـل يكلمـه حتـى هـدأ وسـكت، وبينمـا هـم جلـوس بعـد أن عـم الهـدوء المـكان سـأل الرجـل الشـيخ رفاعـي: كيـف عرفـت أن هنـاك مشـكلة عنـدي في البيـت؟ ففكـر الشـيخ قليـلا، وعلـم أنـه إن قـال لـه: زوجتـك اتصلـت بـي سـتحصل مشـكلة مجـددا وتضيـع جميـع الجهـود التـي بذلهـا مـن أجـل الإصـلاح، فنظـر إلـى السـقف وقـال: جاءنـي هاتـف، وفي نيتـه هاتـف يعنـي تليفـون، لكنـه قالهـا بطريقـة الدرويـش أبـو فـراج الدنيـا مـا تديـش محتـاج،(تقصـد على طريقـة مخـرفي الصوفيـة) والرجـل فهـم أن هاتفـا جـاءه على طريقـة الصوفيـة، فصـار يقـول لـه: الله أكبـر عليـك يـا عمـي الشـيخ، الله أكبـر عليـك.

كان حريصا على الصلح بين الناس لا يجد متخاصمين إلا ويسعى بالصلح بينهما.
مـرة أخـرى كان في طريقـه لصـلاة الجماعـة في المسـجد، فقابلـه أحـد التكفيريين، وكانوا لا يصلـون في المسـاجد ويسـمونها مسـاجد (ضـرار)، فقـال لـه: إلـى أيـن أنـت ذاهـب يـا شـيخ رفاعـي -ويقصـد عتابـه لأنـه يصلـي في المسـجد خلف كافـر- فـرأى أبـي أن الدخول معـه في حـوار مـع ذكـر الأدلـة سـيفوّت عليـه صـلاة الجماعـة، فقـال لـه: أتـرى مسـجد الضـرار هـذا؟ قـال لـه: نعـم، فقـال: أنـا ذاهـب لأدرك صـلاة الجماعـة فيـه.

وتقـول ابنتـه رقيـة: كان أبـي رحمـه الله يحـذّر مـن فعـل الشـيطان في الوسوسـة وفسـاد ذات البيـن عنـد الأزواج والرحـم والمؤمنيـن قبـل رمضـان وقبـل يـوم عرفـة ..

ففـي رمضـان تُسلسـل الشـياطين وفي عرفـة يكـون رجـم الحجيـج لإبليـس ، فتكـون للشـيطان قبـل تلـك الأيـام المبـاركات نفحـات أخيـرة وكانـت هـذه ملاحظـة شـخصية لـه في خبـرة دامـت خمسـون عامـاً في الإصـلاح بيـن المسـلمين .

ويقـول عمـر: المبـدأ الـذي انطلـق منـه أبـي للعمـل لديـن الله هـو التمـاس جوانـب الخيـر والصـلاح والصـواب في كل مـن يعمـل لديـن الله، ثـم العمـل على تكامـل العامليـن،

فـإن لـم يسـتطع فالعمـل على اجتنـاب تعارضهـم، والحـذر مـن ضـرب بعضهـم ببعـض، حتـى لا يشـتعل في الأمـة صـراع داخلـي يؤثـر على صراعهـا مـع أعدائهـا؛ وذلـك لإيمانـه بـأن المنهـج الكامـل المُنـزَّه عـن الخطـأ موجـود في مجمـوع الأمـة -وإن لـم يتحقـق في جميعهـا- ولا يحيـط بـه إلا نبـيّ، وأن حَمْـل الأمـة على منهـج جماعـة -فضـلًا عـن شـخص- هـو وضـع للـكل في الجـزء، وهـذا ممتنـع عقـلًا وشـرعًا.

وشـواهد التماسـه لمواطـن الخيـر في الجماعـات على اختـلاف مناهجهـا =كثيـرة؛ أذكـر منهـا:

لمـا كنـت صغيـرًا، قلـت لـه: جماعـة التبليـغ لا يعملـون شـيئًا غيـر إدخـال النـاس المسـجد؛ فقـال لـي: دعهـم يُدخلـون النـاس المسـجد وعليـك أنـت بدعوتهـم في المسـجد. وكان مـن حسـن تعاملـه معهـم أن تأثـر بـه أحدهـم تأثـرًا شـديدًا، فتـم القبـض عليـه -لكثـرة زيارتـه لأبـي- وهـو يعانـي مـن مـرض شـديد، وفاضـت روحـه تحـت التعذيـب؛ رحمـه الله وتقبلـه في الشـهداء.

ولمـا عاتبـه أحدهـم على مودتـه لبعـض الغـلاة، قـال لـه: هـؤلاء يمثلـون جهـاز إنـذار لمـن يهـم بالانحراف.

وكان كثيـرًا مـا يحكـي لنـا -ونحـن صغـار- عـن بطـولات الجماعـة الإسـلامية وجماعـة الجهـاد، وكان لا يميّـز بينهمـا مطلقًـا في الـكلام حتـى كان يختلـط علينـا القـادة مـن الجماعتيـن؛ ولمـا دخلـت السـجن علمـت أنـه كان يـؤذى إيـذاءً شـديدًا -بسـبب مسـألة العـذر بالجهـل- على يـد مـن كان يحكـي بطولاتهـم.

وكثيـرًا مـا كان يذكـر للإخـوان فضلهـم وسـبقهم في رفـع الرايـة بعـد سـقوط الخلافـة وصبرهـم على سـنوات المحنـة في سـجون عبـد الناصـر.

وأكثر كلمة كررها في آخر أيام حياته: لا صراع مع مسلم.

لهـذا فـإن كتابـات أبـي -رحمـه الله- كان الغـرض منهـا إحيـاء دور الأمـة وليـس إحيـاء منهـج جماعـة؛ واتخـاذه الجهـاد محـورًا فيهـا لـم يكـن الغـرض منـه مخاطبـة جماعـة بقدر

مـا كان الغـرض منـه إثبـات محوريـة الجهـاد لإحيـاء الأمـة.

وقـد أخبرنـي الشـيخ أبـو حسـام المصـري، فقـال: كان الشـيخ رفاعـي لا يـرى الصـدام مطلقـا مـع الجماعـات الإسـلامية، ليـس لأنهـم على الحـق الكامـل ولكـن لأن المجتمـع لا يفهـم الخلافـات، والنـزاع بيـن الجماعـات الإسـلامية سـتؤدي إلـى ضيـاع مجهـود الدعـاة وسـتكون فتنـة للشـباب وشـماتة للأعـداء، وكان يقـول: ادع العـوام ودع عنـك الجماعـات فإنهـم سـيتعبونك، فهـم يحتاجـون إلـى إزالـة شـبهات وتصحيـح مفاهيـم وسـتضيع وقتـك في الـردود والشـبهات، أمـا العـوام فتعتمـد في دعوتهـم على مركـوز الفطـرة، وكان لا يشـغل نفسـه بتكفيـر الطواغيـت ويـرى التشـديد على أذنابهـم الذيـن يرتكبـون الجرائـم ويفسـدون في الأرض، ويقـول: هـؤلاء شـياطين في جثمـان إنـس، وكان يقـول في الرافضـة: يكفيهـم كلام ابـن حـزم فيهـم، ويـرى كفرهـم، ويقـول: ليسـوا مـن أهـل الإسـلام أصـلا، وكان يـرى أن تسـلط الإخـوان والسـلفيين على المشـهد السياسـي سـيميع أصـول الديـن.

ويقـول عمـر: في الثمانينيـات كثـر القيـل والقـال في قضيـة العـذر بالجهـل، وكثـرت فيهـا جلسـات المناظـرة؛ ولمـا دخـل أبـي -رحمـه الله- إحـدى هـذه الجلسـات وجـد كل فريـق في مقابـل الآخـر، فـرأى في تلـك الهيئـة معنـى غيـر محمـود، فحـرص -رغـم خفـاء هـذا المعنـى- على التحذيـر منـه لمـا رأى فيـه مـن خطـورة، وقـال لهـم: لا حـرج في المناظـرة والمدارسـة بقصـد معرفـة الحـق، ولكـن لمـاذا جلـس كل فريـق في مقابـل الآخـر؟! وأعـاد تشـكيل هيئـة الجلسـة، ووجـد لذلـك أثـرًا طيبًـا.

ويقـول: في الثمانينيـات سـمعت أبـي -رحمـه الله- يقـول لأحد أعضـاء الإخوان المسـلمين: لـو سـألتني سُـلَّمًا لتعليـق لوحـة انتخابيـة فلـن أعطيـك، ولـو علّقتَهـا فلـن أنزعهـا؛ فتعلمـت -وأنـا طفـل صغيـر- كيـف أجمـع بيـن اجتنـاب الباطـل وبيـن ترتيـب أولويـات الصـراع.

وقـد أخبرنـي الشـيخ أبـو حسـام المصـري فقـال: كان الشـيخ رفاعـي معجبـا جـدا بالدكتـور

أيمـن الظواهـري، ويقـول: هـو رجـل ربانـي وشـيء فريـد، كمـا كان معظمـا للدكتـور هانـي السـباعي وأبـي محمـد المقدسـي وأبـي الفـرج المصـري سـلامة مبـروك ومحمـد الظواهري، وكان معجبـا جـدا بصالـح سـرية، ويـرى الشـيخ أنـور العولقـي طفـرة عقليـة في الحركـة الجهاديـة، وأن أبـا مصعـب الزرقـاوي يعـدل أمـة بأسـرها، ويعتبـر سـيد قطـب إمـام في الحركـة، وتفسـيره مـن أعظـم التفاسـير، ويعتبـر الشـيخ سـالم الرحـال وهـو أميـر جماعـة الجهـاد في مصـر عقليـة فـذة، ومحمـد عبـد السـلام فـرج رجـل ربانـي ومـن أهـل العلـم، ويقـول: إنـه لـم يـر أعلـم مـن الشـيخ محمـد حجـازي، ويـرى أن سـيد إمـام مـن أهـل العلـم ولكنـه أُتـي مـن جهـة كبـره وعجبـه بنفسـه، وكان يحـب الشـيخ أبـا قتـادة الفلسـطيني جـدا، كمـا كان صديقـا للدكتـور طـارق عبـد الحليـم، وكان يقـول: هنـاك شـخصيات جهادية تحتـاج إلـى مجلـدات لتوفـى حقهـا منهـم عصـام القمـري وهـو عبقـري، ومنهم أبـو عبيدة البنشـيري، ومنهـم أبـو حفـص المصـري، ومنهـم الدكتـور أيمـن الظواهـري، ومنهـم محمـد عبـد السـلام فـرج، وكان معجبـا بالشـيخ المـودودي.

الولاء والبراء:

يقـول عمـر: ولاء أبـي -رحمـه الله- للمجاهديـن منعـه أن يلبـي دعوة لقنـاة الجزيـرة ليتكلم عـن مقتـل السـادات؛ لأن البرنامـج كان بعنـوان: الجريمـة السياسـية، وقال: العنـوان غلط.

أواسـط التسـعينيات جـاءه أحـد الصحفييـن (المتلطفيـن مـع التيـار الجهـادي) وقـال لـه: مـا رأيـك بمقتـل الطفلـة شـيماء؟ (وكان منتظـرًا إدانتـه لمقتلهـا؛ لأنهـا قُتلـت بالخطـأ أثنـاء محاولـة اغتيـال عاطـف صدقـي)، فقـال لـه: قُتلـت في سـبيل تحكيـم الشـريعة؛ فاعتـذر الصحفـي عـن كتابتهـا، فاعتـذر أبـي عـن اللقـاء.

سـبب اعتقـال أخـي يحيـى -فـرّج الله كربـه- في أوائـل التسـعينيات مسـاعدته لأفـراد من الجماعـة الإسـلامية؛ ولمـا علـم أبـي بهـذا التعـاون قـال لـه: هـذا سيشـكل خطـرا عليهـم أكثـر، ولكنـي لـن أمنعـك.

موقفه في الثورة المصرية:

يقول الشيخ طارق الزمر: كان الشيخ عميق الرؤية السياسية، وكان يرى أن الاستبداد في مصر لا يزول إلا بثورة شعبية، وكان يعمل من أجل ذلك، فلما قامت الثورة كان متفاعلا معها جدا؛ لأنه رأى حلمه قد تحقق.

ويقول الشيخ حسام أبو البخاري: كان للشيخ كلمة يقولها قبل الثورة، كان يقول: التغيير في مصر سيأتي قدريا، وكذلك أتت الثورة بشكل عجيب جدا وبدون مقدمات، كان مُنظرا للثورة قبلها وأثناءها وبعدها.

شارك الشيخ رفاعي في الثورة المصرية ونزل إلى ميدان التحرير مع المتظاهرين المطالبين بسقوط الطاغية الهالك حسني مبارك.

يقول أحد الشباب في تشييع جنازة الشيخ رفاعي: عندما كنا في التحرير كان هذا الرجل يساندنا، هذا الرجل الوحيد الذي لم يتغير والكل تغير إلا ما رحم ربي. فهذا الرجل رحمه الله افتقده الثوار؛ لأنه لم يوال طاغوتا قط.

يقول حسام أبو البخاري: كان الشيخ يخشى من التدخل والسرقة للثورة، ويقول: يجب أن نكون على حذر شديد حتى لا تُسرق الثورة، وكان في الأيام الأخيرة يتحدث أن حكومة الجنزوري لا تسعى لحل مشكلات المجتمع بل تسعى لتلغيم الدولة -وهذه رؤية غير عادية- حتى إذا أتى حاكم إسلامي يتعثر كل يوم بلغم فلا ينجح، وتبدأ الألغام بالانفجار يوم تسليم السلطة لحكومة منتخبة والغرض تفشيل الإسلاميين.

ويقول: كان حريصا على بلورة المشروع الإسلامي، وقد رأيت بنفسي أساتذة علوم سياسية جالسين مع الشيخ رفاعي ينصتون باهتمام ويكتبون خلفه، وكان من فوارس ميدان محمد محمود.

ويقـول: كان الشـيخ يقـول: نـزول الجيـش في أحـداث الثـورة المصريـة هـو أول خطـوة مـن خطـوات إجهـاض الثـورة المصريـة.

وقـد نبـه الشـيخ على وجـود ابتـزاز سياسـي يقـوم بـه العلمانيـون والنصارى وهـو أنهـم دائمـا يقولـون للإسـلاميين: نريـد أن نطمئـن في حـال وصولكـم إلـى الحكـم، فيجيـب الشـيخ ويقـول: هـؤلاء لـن يطمئنـوا إلا أن نقـول لهـم: لسـنا مسـلمين، كمـا قـال ربنـا: (وَلَـنْ تَرْضَـى عَنْـكَ الْيَهُـودُ وَلَا النَّصَـارَى حَتَّـى تَتَّبِـعَ مِلَّتَهُـمْ)، ثـم يقـول: مـن الـذي يجـب أن يخـاف ويقلـق؟ أليـس مـن تعـذب وتشـرد واعتقـل؟ أهـؤلاء تريـد أن تطمئـن منهـم وأنـت مـن قتلهـم وعذبهـم وشـردهم؟
ثـم يقـول: نحـن الذيـن شـعرنا بالاسـتضعاف والسـجون وذقنـا الظلـم، ولذلـك لـن نذيقـه لغيرنـا.

وبعـد الثـورة بـدأ الشـيخ رفاعـي في الظهـور على التلفـاز، وكان قبـل ذلـك عازفـا عنـه، ومـن القنـوات التـي ظهـر فيهـا قنـاة الحكمـة، وكان يحـاوره حسـام أبـو البخـاري، حـول كتابـه التصـور السياسـي للحركـة الإسـلامية

تأييده للشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل:

لمـا طلـب الشـيخ حـازم بيعـات مـن وجهـاء مصـر وعلمائهـا سـارع إلـى ذلـك الشـيخ رفاعي وأيـده تأييـدا عظيمـا، ومـن كلامـه في ذلك:
(أنتـم لا تعرفـون قيمـة مـا يقـوم بـه الشـيخ حـازم؛ لأنكـم لـم تعيشـوا الأيـام التـي عشـناها، تلـك الأيـام كنـا نحضـر فيهـا ورقـة وقلـم رصـاص ثـم نرسـم ونشـرح للنـاس مـا هـو الحجـاب الشـرعي ومـا شـكله، في تلـك الأيـام كنـا إذا تكلمنـا عـن تطبيـق الشـريعة نـرى النـاس تهـرب وتدعنـا ولا يبقـى في المسـجد إلا الحصيـر الأخضـر.. الآن حـازم صـلاح أبـو إسـماعيل يتكلـم عـن تطبيـق الشـريعة في التلفزيـون المصـري!!!).

ويقـول الشـيخ رفاعـي: حـازم أبـو إسـماعيل تبنـى القضيـة مـن الناحيـة الشـرعية بأنسـب صيغـة سياسـية ممكنـة، وأثبـت جـدارة ومواجهـة ومصداقيـة أمـام كل محـاولات

الإسـقاط العلمانـي التـي مورسـت ضـده على مسـتوى القنـوات الفضائيـة كلهـا، وأعطـى اقتراحـات وبرامـج مقنعـة، حتـى إنـه اسـتطاع أن يقنـع عامـة النـاس مـن الإسـلاميين وغير الإسـلاميين بشـخصيته وبمنهجـه وبتفكيـره.

ويقـول: فضيلـة الشـيخ حـازم قـدر الله لـه أن موقفـه يتضمـن كل أبعـاد منهـج الدعـوة الصحيحـة، يعنـي أشـد النـاس عـداء لأمريـكا، وهـذا بعـد مهـم جـدا في المواجهـة، وأشـد النـاس انتباهـا لمراوغـات المجلـس العسـكري، وأشـد النـاس إعلانـا وإعـلاء لقضيـة الشـريعة بـكل أبعادهـا، وأشـد النـاس قبـولا عنـد النـاس، وهـذه كلهـا أبعـاد منهجيـة جمعهـا الله سـبحانه وتعالـى فيـه، صـورة الشـيخ حـازم وقبـول النـاس لـه عالـج بعـض السـلبيات التـي أوجدتهـا الممارسـة السياسـية مـن جانـب الشـيوخ أو مـن جانـب بعـض النـاس الذيـن هـم معـذورون، نحـن نعذرهـم كعلمـاء أو شـيوخ دخلـوا التجربـة السياسـية بـلا أي تجربـة وبـلا أي تصـور، فوجـدت بعـض المواقـف التـي قـد تحسـب علينـا، فربنـا قـدر سـبحانه وتعالـى أن الشـخصية التـي تمثلـت في الشـيخ حـازم تعالـج هذه السـلبيات في نظـر النـاس، وأصبـح الآن مفهـوم لـدى الجميـع أن الشـخصية الإسـلامية والمتجسـدة بصـورة واضحـة جـدا في الشـيخ حـازم هـي الشـخصية الواعيـة المرتبـة الشـرعية صاحبـة التصـور السياسـي والـرأي السياسـي والموقـف السياسـي الـذي يجعـل النـاس تطمئـن إلـى الإسـلاميين وتجعـل النـاس تثـق بالإسـلاميين وتقـف بجانبهـم أمـام أعدائهـم.

ويقـول أيضـا: الشـيخ حـازم منطلـق تصرفاتـه -وهـذا كلامـي أنـا ليـس مسـؤولا عنـه- منطـق البيعـة على إقامـة الشـرع، البيعـة المباشـرة على إقامـة الشـرع، بصـرف النظـر عـن الحالـة السياسـية، وبعيـدا عـن القـوة السياسـية، يعنـي حسـاباته ليسـت قائمـة على أن أحـدا سـيؤيده مـن الإخـوان أو السـلفيين أو الجماعـة أو الجهـاد أو أي أحـد، يعني حسـاباته على أسـاس إقامـة شـرع الله ويتحـرك على مسـتوى الشـعب كلـه، فأصبـح الموقـف قائمـا بمنطـق البيعـة المباشـرة على إقامـة الشـرع، أنـا لا أتعامـل مـع الشـيخ حـازم كشـخص، أنـا أتعامـل معـه كقضيـة، فأختـار أنسـب أسـلوب للدخـول بقضيـة الشـريعة إلـى الواقـع، واقـع النـاس وحياتهـا، ولذلـك نقـول: يجـب أن نتعامـل مـع الشـيخ حـازم كقضيـة وليـس كشـخص، بمعنـى الشـيخ حـازم قـد يترشـح وقـد لا يترشـح، قـد ينجـح وقـد لا ينجـح،

يعيـش أو يمـوت، ظـرف تاريخـي هـذا لا يهمنـي، أنـا لسـت في حالـة انتخابيـة، أنـا في حالـة تبنـي لقضيـة الشـريعة كواقـع فـارض نفسـه، كواقـع ظهـرت فيـه مشـاعر النـاس تجـاه قضيـة الشـريعة، تجسـدت ووضحـت وتجـاوب النـاس معهـا، فأنـا داخـل على موضـوع الشـيخ حـازم مـن هـذا المدخـل، وهـذه قضيتـي، فـلا يظنـن أحـد أن تأييـد الشـيخ حـازم هـو تأييـد شـخص في حالـة انتخـاب للرئاسـة، لا، هـذا الـكلام غيـر صحيـح.

ويقـول الشـيخ سـيد العربـي: كان يعمـل الفتـرة الأخيـرة، واتصـل بـي شـخصيا، وحدثنـي عـن أخينـا حـازم والموقـف منـه، وأيـن أنـت مـن هـذا الموضـوع؟ نحـن نحـاول نعمـل، وبلغنـي مـن أبنائـه ومـن زوج ابنتـه أنـه نـزل في الأيـام الأخيـرة قبـل موتـه بثلاثـة أو أربعـة أيـام أكثـر مـن سـبع مـرات في وسـط الليـل وفي أوقـات مختلفـة مـن أجـل أن يبايـع، حتـى لا يمـوت وليـس في رقبتـه بيعـة يحسـب أنهـا لله عـز وجـل.

ويقـول حسـام أبـو البخـاري: كان داعمـا جـدا للشـيخ حـازم، حتـى إنـه كان يقـول: عندمـا تلقـى شـخصا فـأول كلمـة تقولهـا لـه: السـلام عليكـم، ثـم الكلمـة الثانيـة مباشـرة: حـازم صـلاح أبـو إسـماعيل، فقـد كان يـراه الخيـار الاسـتراتيجي للثـورة وأنـه خيـار إسـلامي ثـوري واسـتقلالي تحـرري، وهـو محـك الثـورة المصريـة، والشـيخ كان متعلقـا جـدا بالإصـلاح، فذهـب قبـل وفاتـه بأسـبوع إلـى المنصـورة ليصلـح بيـن أخويـن، فأصلـح بينهـم، ثـم كان هنـاك جلسـة كلهـا عـن الشـيخ حـازم أبـو إسـماعيل، والشـيخ كتـب مذكـرة عـن الشـيخ حـازم والتأصيـل الشـرعي والفكـري سـنطبعها وننشـرها، وكل مـا كتـب قبـل وفاتـه بشـهرين كان عـن الشـيخ حـازم صـلاح أبـو إسـماعيل، وكان يقـول: الشـيخ حـازم يقـدم أنسـب خطـاب لفكـرة الشـريعة والدولـة الإسـلامية، ومـع كل المواجهـات العلمانيـة والليبراليـة في القنـوات الفضائيـة وغيرهـا لإسـقاطه إلا أنـه كان يقـدم خطابـا شـرعيا عقلانيـا مناسـبا لـكل نفـس.

ويقـول ابنـه عمـر: موقفـه مـن الشـيخ حـازم الصريـح أنـه قـال باللفـظ: إن الموقـف مـع الشـيخ حـازم موقـف بيعـة على تطبيـق الشـريعة، بيعـة شـرعية للوصـول إلـى تطبيـق الشـريعة بآليـة شـرعية بمنهـج شـرعي كامـل، هـذا هـو الموقـف مـن ذلـك.

مختارات من أفكاره وأقواله:

يقول عمر: لم يكن أبي -رحمه الله- يتكلم عن حجاب المرأة باعتباره تكليفا من الله وفقط، بل كان يبين أن هذا التكليف هو أثر من آثار غيرة الله على محارمه.
سُئل أبي -رحمه الله- عمّا يعين على غضّ البصر، فقال: التفكر في جمال الكون.

من أعظم ما نصحني به أبي -رحمه الله- في مصابرة الطغاة = أنهم مثل الشيطان؛ يُضعفهم الثبات والذكر.

أمثال كان أبي -رحمه الله- يحب استعمالها:
شروق الشمس وانتشار ضيائها من غير أن يلاحظ أحد حركتها مثالُ كان يستعمله لمن يتحرك لإقامة دين الله من غير أن يشعر به أحد.
قشر الفاكهة الذي يُوزَن معها، ثم يُلقى بعد انسلاخه عنها، مثال كان يستخدمه لقيمة الإنسان مع ارتباطه بالدين وقيمته عند انسلاخه عنه.
كثرة الأسرار بين اثنين ودلالاتها على المحبة بين طرفين، مثال كان يستعمله لقيام الليل والعبادات الخفية.

نصيحة من يشرب الخمر بيده اليسرى أن يشربها باليمنى، مثال كان يستخدمه لعلماء الطواغيت الذين ينصحون الحكام بمعروف يُزيّن طغيانهم.

أوراق الأشجار التي تسقط في الخريف، مثال كان يستعمله للمنتكسين الذين انقطعوا عن الوحي، كما انقطع الورق الساقط عن الماء.

ضبْط عقارب الساعة على الشمس، مثال كان يضربه للعقل الذي ينبغي أن يُضبَط بالشرع وليس العكس.

تَدحْرُج الحجر من قمة الجبل حتى يصل إلى سفحه، مثال كان يضربه لمن يبدأ في التنازل -بخطوة واحدة- عن الحق.

مسـرحية بوتـن - ترامـب المعروضـة في الشـام الآن ذكّرتنـي وصفًـا دقيقًـا أعطـاه أبـي -رحمـه الله- للأنظمـة الجاهليـة مختلفـة الوظائـف، قـال: إنهـم مثـل الجهـاز الهضمـي.. نظـام يـأكل ويمضـغ ويبتلـع، والآخـر يهضـم.

وكتب عمر: ما قلّ ودلّ من كلمات أبي رحمه الله:
سألته أي كتاباتك أقرب إليك؛ فأجاب من غير تردد: أصحاب الأخدود.
تظامر مدير السجن بالوقوع أمامه؛ فتجاهله أبي، وقال له: لسـت أنـا مـن يسـندك عنـد وقوعـك.

في التسـعينيات استدعاه الطواغيت للتحقيق معه في اغتيال أحد الضباط المعروفين بالجرأة على الأعراض، وسأله المحقّق عن رأيه في العملية؛ فقال له: تصرُّف مناسب للجرأة على الأعراض.

قال له المحقق: يبدو أنك نسيت تعذيب 81، فقال له: لن تستطيع أنت أن تقوم به.
قال لي الشيخ عادل شحتو فرّج الله كربه: أبوك كان يقـول لمـن يعذبـه: أتحداك أن تأخـذ مني معلومة.

سألته عن سبب تأليف كتاب المسيح، فقال: الحرب القادمة في مصر ستكون صليبية.
سألته: ماذا ستتمنى من الله لو أدخلك الجنة؛ فأجابني والشوق يملأ عينيه: أتمنى أن أفهم القرآن.

مـن جميـل اسـتدلال أبـي -رحمـه الله- على قيمـة العلاقـة الزوجيـة عنـد الله، أن الله -سـبحانه- قـدّر تكليمـه لموسـى -عليـه السـلام- عندمـا ذهـب لحاجـة زوجتـه.
تعظيم الزوج لحرمات الله هو الضامن الوحيد لتحقيق قوامته على زوجته.

هذه خلاصة كلمة أبي -رحمه الله- في عقد زواجي.
تمنّيت أن لو لم أُخلق؛ فقال لي: لقد خُلقتَ وقُضِيَ الأمر فتَـمنَّ دخول الجنة.

يقـول الشـيخ رفاعـي: الذيـن يفسـرون مصلحـة الدعـوة بالحـرص على حيـاة الدعـاة فحسـب هـم أصحـاب التصـور الناقـص الـذي لا يعـدو أن يكـون فلسـفة للجبـن أو للارتـداد عـن سـبيل الله. والذيـن يندفعـون إلـى المـوت برغبتهـم النفسـية دون اعتبـار لمصلحـة الدعـوة إنمـا يبـددون بذلـك الاندفـاع والتهـور طاقـة الدعـوة وإمكانياتهـا.

آثاره ومؤلفاته:

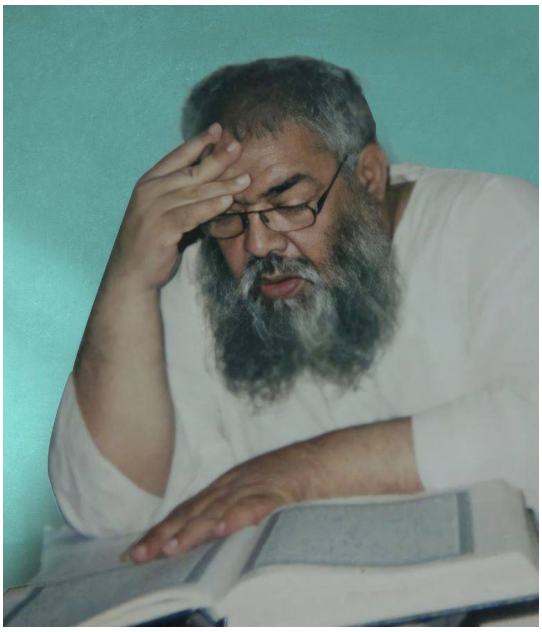

أخبرنـي الشـيخ أبـو حسـام، فقـال: لـم يكـن الشـيخ رفاعـي يـرى كثـرة التأليـف، وكان يقـول: لـو فهمنـا كتـب السـلف فهمـا صحيحـا لوفـر ذلـك علينـا آلاف السـاعات؛ لأن المعاصريـن لا يأتون بجديـد غالبا، وعلى العلمـاء أن يبذلـوا الجهـود في الدعـوة، ولـم يقـدم لأي كتـاب في حياتـه مـا عـدا كتابـا واحـدا للدكتـور هانـي السـباعي، وكان يستشـنع جـدا أن يقـال في مسـألة الخـلاف فيهـا بيـن العلمـاء الأقدميـن: فـلان حسـم المسـألة، ويـرى أن تفاسـير جميـع العلمـاء فيهـا مـن نـور النبـوة فـلا يهمـل شـيء منهـا، وكان يـرى أن مصـر محوريـة في العالـم كلـه؛ لقولـه تعالـى: (إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَـلَا فِي الْأَرْضِ) مـع أنـه عـلا في مصـر فقـط، ولقـول يوسـف عليـه السـلام: (اجْعَلْنِـي عَلَى خَزَائِـنِ الْأَرْضِ) مـع أنـه كان يريـد أن يكـون على خزائـن مصـر فقـط، وصـراع إسـرائيل معظمـه في مصـر، وسـألته مـرة: لمـاذا لـم تكبـر كتـاب علامـات السـاعة؟ فقـال: لـو كان عندنـا تقـوى لفتـح الله علينا، وهـذا مـن تواضعـه رحمـه الله، وردد مقولـة: مـن اتقـى الله فيمـا علـم علمـه الله مـا لـم يعلـم، وقـال: العبـد إذا اتقـى فتـح الله عليـه ووهبـه أشـياء لـم يكـن يتخيلهـا، فالنـووي مـع قصـر عمـره فتـح لـه لتقـواه، وكان يقـول: مـن يقـول: إن سـيد قطـب عنـده انحـراف في عقيدتـه، لـم يفهـم كلامـه، وأنـا مسـتعد لأناظـر في عقيدتـه بمـا كتبـه في الظـلال ومعالـم في الطريـق، وهـو كتـب الظـلال مرتيـن والواجـب الأخـذ بآخـر كلامـه.

- للشيخ رفاعي سرور مؤلفات عديدة تناولت موضوعات متنوعة، وأولى مؤلفاته:
كتـاب أصحـاب الأخـدود: وهـذا أول كتـاب، وقـد ألفـه في بواكيـر شـبابه بعـد إعـدام الشـهيد سـيد قطـب رحمـه الله، وقـد تُرجـم إلـى عـدد مـن اللغـات.

تقـول ابنتـه: حكـى أبـي أن بدايتـه كانـت بعـد إعـدام سـيد قطـب، وحيـن قضـى الليـل باكيـا، قالـت لـه جدتـه: اعمـل مثلـه بـدل أن تبكـي، فألّـف «أصحـاب الأخـدود» وهـو في السـابعة عشـرة.. وفيـه قصـة الغـلام الـذي كان يـروح ويجـيء على الراهـب العالـم.. حتـى إذا تعلّـم علمـه؛ قـال لـه الراهـب: أي بنـي، أنـت اليـوم أفضـل منـي؛ لتبـدأ الملحمـة بالبطـل الشـاب - هـي أمتنـا التـي لا تنتهـي وهـي الرايـة التـي نحملهـا برقابنـا حتـى لـو تقطعـت منّـا الأيـدي والأرجـل.
والكتـاب صغيـر الحجـم غزيـر الفائـدة، شـرح فيـه حديـث أصحـاب الأخـدود شـرحا فكريـا حركيـا، وهـذا الكتـاب يـدل على تمكـن الشـيخ رفاعـي في فهـم الجاهليـة وأدواتهـا وأسـاليب محاربتهـا للجماعـة المؤمنـة، يقـول الشـيخ رفاعـي في مقدمتـه:
(إنه حديث المستضعفين.. ودرس الذين عاشوا الدعوة في أيام الآلام والعذاب.
وهذه هي القيمة الأساسية للقصة.

يتبعهـا أن القصـة تجربـة كاملـة للدعـوة: ففـي أحداثهـا كل مراحـل العمـل وأسـاليبه مـن بدايـة الدعـوة الفرديـة إلـى مرحلـة الإيمـان الجماعـي، متضمنـة النقلـة المرحليـة الأساسـية للدعـوة مـن السـرية إلـى العلنيـة.

كمـا أن أحداثهـا تحقيـق مباشـر لقـدر الله، ممـا يجعـل هـذه القصـة مجـال بحـث دقيـق لتحديـد منهـج الدعـوة بتصـور القـدر والأسـباب؛ ليصبـح هـذا المنهـج قـادرًا على تحقيـق الواقـع الإسـلامي الـذي نسـعى إليـه).

وقـد بيـن الشـيخ في كتابـه هـذا أن العلاقـة بيـن الجاهليـة وبيـن المؤمنيـن لـن تكـون إلا الصـراع، وأن كل حركـة إسـلامية لا تجعـل هـذا نصـب عينيهـا فمصيرهـا الإخفـاق، وفي ذلـك يقـول:

وبذلك نفهم أن العداء بين الدعاة إلى الحق وبين حكام الباطل أمر بدهي مفروض من البداية، وبمجرد التفكير في غاية الدعوة والنظر إلى واقع الناس.

وعلى هذا فإن أي دعوة إلى الحق تُظهر في الواقع الباطل توجيهاً نظرياً أو فكرياً مجرداً لا يتضمن تقدير مواجهة هذا الباطل في قوته وسلطانه ستكون قتيلة بسنن الوجود وتُلفظ من واقع الناس.. كالجنين الذي يلفظه الرحم وهو غير مخلَّق. فالدعوة إلى جميع الناس.. حاكمين ومحكومين؛ لأن الدعوة دعوة للحق، فلو كانت للمحكومين دون الحاكمين لأصبحت فكراً خاضعاً لمن يحكم بالباطل، ولو كانت للحاكمين دون المحكومين لأصبحت وسيلة من وسائل هذا الحكم الباطل.

كما بين بجلاء شديد أن الوصول إلى الحكم ضروري لتحقيق عدالة الله في أرضه، ولن يكون الوصول إليه إلا بالجهاد في سبيل الله، وما سوى ذلك فمحض تخيلات وأوهام.

فالحكم ضرورة في تصور الدعوة، ولكنه لن يأتي منحة من المغتصبين له، ولن يتحقق بالمساومات الرخيصة. بل يجب أن يسترد بالجهاد والعمل ليكون ولاية شرعية حقيقية، وليس مجرد تسلط شخصي أو سيادة فردية دون إمكانيات القيام بالحكم والاستمرار فيه بعد الوصول إليه.

كتاب بيت الدعوة: وهو كتاب صغير أيضا تحدث فيه عن بناء البيت الدعوي؛ ابتداء من أمنية الزواج وخطورة الانحلال الجنسي مرورا بنظرة الخاطب وعقد القران وإنجاب الأولاد وتربيتهم وآداب كل ذلك، وختم كتابه بالحديث عن بيت الرميصاء رضي الله عنها، ثم أتبع ذلك بملحق فيه شرح حديث أم زرع.

يقول الشيخ رفاعي في مقدمة كتابه: (وهذه الرسالة تتضمن التصور الحركي الذي تتكون به الأسرة والحسابات الدقيقة التي تدخل بها -بعد تكوينها بهذا التصور- في واقع الدعوة. ومن هنا لم تكن هذه الرسالة دراسة اجتماعية أخلاقية عامة، بل كانت دراسة حركية محددة).

كتـاب حكمـة الدعـوة: وهـو كتـاب صغيـر الحجـم، وقـد بيـن المؤلـف سـبب تأليفـه وموضوعـه، فقـال: فالحكمـة في واقـع الدعـوة القائـم الآن قضيـة غائبـة.. غيبهـا فهـم خاطـئ عنهـا، وأبقـى لنـا منهـا في عقولنـا فكـرة (الليـن) المحـدودة، فصرنـا نفهـم أن الحكمـة هـي كلمـة ليـن أو موقـف رقـة. فضاعـت الأبعـاد الهائلـة لقضيـة الحكمة وأمسـينا في فتنـة نارهـا فكـر مشـتت اشـتعل ليحـرق بقايـا متفرقـة مـن واقـع يابـس ومهيـأ للاحتـراق. والفتنـة تـزداد بمزيـد الفكـر المشـتت الـذي يجعلهـا أشـد إحراقـا. ومـن كل نقطـة احتـكاك بيـن هـوج ذهنـي مشـتعل وخمـول عقلـي يسـاعد على الاشـتعال تندلـع النـار. أو بتعبيـر مباشـر.... مـن كل لقـاء بيـن أدعيـاء ملكيـة المنهـج الصحيـح للدعـوة وبيـن الراقديـن في انتظـار كل ادعـاء، تنشـأ الاتجاهـات النظريـة المختلفـة التـي تضيـف إلـى نـار الفتنـة وقـودا جديـدا. وقريـب مـن واقـع الفتنـة المشـتعلة نبـع المـاء الـذي يطفئهـا. نبـع الحكمـة. الـذي يحـب أن يتفجـر، وكل منـا يترقـب لنحاصـر معـا تلـك النـار ونخمدهـا لنبـدأ مرحلـة جديـدة، يقـوم فيهـا كيـان إسـلامي واحـد صحيـح. يحميـه مـن كل جانـب موقـف حكيـم، ويمتـد بـه في كل اتجـاه كلمـة وقـوة حكيمـة. وهـذا الكتـاب في الابتـداء سـعي عملـي بخطـوات منتظمـة لإنهـاء تلـك الفتنـة. وفي الانتهـاء إرسـاء أساسـي لا بـد منـه أمـام أي ممارسـة منهجيـة للدعـوة.

تقـول ابنتـه ولاء: كان للشـيخ كلمـة شـهيرة كان يرددهـا في موضـوع التعامـل مـع الإسـلاميين المخالفيـن وهـي: لا أطفـئ شـمعة أوقدهـا غيـري، وقـد ألـف كتـاب حكمـة الدعـوة بعـد تجربـة السـجن فقـد وجـد في الزنزانة نفسـها إسـلاميين مـن تيـارات مختلفة فنشـأت في ذهنـه فكـرة الكتـاب وهـي كيـف يتـم احتـواء الخـلاف بيـن الإسـلاميين وكيف يسـتغل طبيعـة كل تيـار في العمـل الإسـلامي بحيـث يسـتفاد مـن المواهـب والاتجاهـات كلهـا لدعـم القضيـة دون أن يعـارض بعضهـا بعضـا.

كتـاب علامـات السـاعة دراسـة تحليليـة: وهـذا الكتـاب يتحـدث عـن أشـراط السـاعة الكبـرى مـع تحليلهـا وربطهـا بمـا يلائمهـا مـن وجهـة نظـر المؤلـف، وقـد ترجـم إلـى الإنكليزيـة، ويؤخـذ على هـذا الكتـاب احتجاجـه بكثيـر مـن الأحاديـث الواهيـة والضعيفـة في بـاب أشـراط السـاعة، وكذلـك بعـض التأويـلات والتحليـلات التـي قـد لا يوافـق عليهـا.

يقـول الشـيخ رفاعـي في مقدمـة هـذا الكتـاب: (ومـن أهـم لحظـات العالـم هـي لحظـة نهايتـه، وهـي المعروفـة بـ «السـاعة» أو «يـوم القيامـة»، فشـكل نهايـة العالـم ينبئ عن حقيقـة «الإرادة» التـي سـتقوم بإنهائـه، وعلى ذلـك، فمـن كمـال فكـرة مـا عـن العالـم، أن تقـدم تصـورا لنهايتـه؛ بحيـث يلائـم مضمـون تلـك الفكـرة مـن جهـة، ومعطيـات الواقـع مـن جهـة أخـرى.

وهكـذا يطـرح التصـور الإسـلامي نفسـه كصاحـب حـق شـرعي ووحيـد في تفسـير العالـم، باعتبـار أن «علامـات السـاعة» تمثـل جـزءا أصيـلا ضخمـا من تاريـخ الأمـة الإسـلامية الباقية إلـى آخـر الزمـان متضمنـة ظهـور العلامـات).

كتيـب صغيـر بعنـوان حمايـة الديـن مـن التحريـف: وقـد تحـدث فيـه المؤلـف بشـكل مختصـر عـن (حمايـة الوحـي مـن لبـس الشـيطان..
وحماية الدين من الزيادة والنقصان..
وحماية النصوص من اللبس والتحريف..
وحماية مقام النبوة من الغلو والإطراء..
وحماية صفة أهل الحق بالمفاصلة مع أهل الباطل..).

كتاب علم الحديث منظور إعجازي:

وقـد تحـدث فيـه عـن أوجـه المناسـبة بيـن بعـض الـرواة ومروياتـه، وأوجـه المناسـبة في ترتيـب كتـاب صحيـح الإمـام البخـاري، وأوجـه المناسـبة بيـن أبـواب كتـاب الجهـاد مـن صحيـح البخـاري، ويقـع الكتـاب في قرابـة الثلاثمائـة صفحـة.

كتـاب قـدر الدعـوة: وقـد ألـف الشـيخ رفاعـي هـذا الكتـاب في السـجن كمـا ذكـر ذلـك في مقدمتـه، وقـد أخبرنـي الشـيخ أبـو حسـام المصـري أنـه كتبـه بالفحـم على جـدران السـجن.

أمـا موضوعـه فقـد ذكـر الشـيخ رفاعـي ملخصـا للكتـاب في مقدمتـه، فقـال: (الموضـوع

الأساسي لهذا الكتاب هو تحديد منهج الدعوة بتصور القدر والسنن وأحاديث آخر الزمان، وهذا التصور الذي يتحدد به منهج الدعوة قائم على قضية الأسماء والصفات ونشأة الخلق والوجود والحركة الكونية كأثر لأسماء الله وصفاته.

ومن هنا ينطلق التحديد المنهجي للدعوة من خلال هذه القضية باعتبارها الإطار العقيدي لتفسير الخلق والوجود، وباعتبار أن واقع الدعوة جزء من هذا الوجود داخل ضمن حركته الكونية؛ وبذلك تكون موضوعات الكتاب هي عرض قضية الأسماء والصفات كتفسير للخلق والوجود؛ حيث نتعرف من خلال هذا العرض على (حقائق الإظهار) لآثار الأسماء والصفات التي تمثل بذاتها القواعد الأساسية لهذا الوجود وحركته الكونية.

وبينما يعالج الكتاب مفهوم الإظهار وحقائقه في الخلق والوجود نتعرف على قضية من أخطر قضايا الدعوة وهي (قضية السنن الثابتة).

وبذلك يكتمل القسم الأول من الكتاب، وهو التصور القدري العام ويشتمل على موضوع الأسماء والصفات وحقائق إظهار آثار الأسماء والصفات والسنن الثابتة.

ثم ينتقل الكتاب إلى القسم الثاني، وهو المقتضى الواقعي للتصور القدري العام والمعالج لتفصيل الخلق والوجود الناشئ كأثر للأسماء والصفات من خلال ثلاثة أبعاد:

-البعد الكوني الذي يتضمن التفسير الإسلامي للحركة الكونية.

-البعد البشري الذي يتضمن التفسير الإسلامي للتاريخ.

-حيث يمتد هذا التفسير خلال هذين البعدين إلى آخر الزمان، ليكون البعد الثالث: وهو التفسير السلفي لأحاديث آخر الزمان وعلامات الساعة في إطارها العقدي العام.

ومن مجموع قضايا القسم الأول والثاني، تتكون أساسيات التحديد القدري لمنهج الدعوة، ولكننا بمجرد البدء في مهمة التحديد نكتشف أن واقع الدعوة وإن كان واقعا كونيا بشريا داخلا ضمن الوجود وحركته إلا أن له في هذا التصور ومقتضاه الواقعي

اختصاصا جوهريا، مما جعل مهمة التحديد تتطلب معالجة هذا الاختصاص ابتداء ليكون (الاختصاص القدري لواقع الدعوة) هو موضوع (القسم الثالث).

ثم يدخل البحث في قضيته الأساسية؛ حيث يبدأ في تحديد منهج الدعوة من خلال الاختصاص القدري لواقع الدعوة، مضيفا كل الحقائق الناشئة عن هذا التصور وذلك الاختصاص إلى منهج الحركة بكل أبعاده وأساليبه، فيتحدد التصور القدري للجماعة والدعاة ومنهج التربية والأساليب الأساسية للحركة، مثل التبليغ والقتال، وكذلك الأساليب الاستثنائية مثل الهجرة والعزلة، ثم يتحدد التصور القدري لقيام الحكم وتكوين الدولة الإسلامية...، وبهذا البحث تتحقق عدة أهداف:

الأول: تحقيق الصبغة السلفية لمنهج الحركة الإسلامية لتتم العلاقة الصحيحة بين الدعوة والتصور السلفي لها من خلال العقيدة والحركة معا.

الثاني: تفادي الخطأ في فهم السنن والفتن وأحاديث آخر الزمان، والخطأ في فهم العلاقة بين النصوص الإخبارية والنصوص التكليفية في إطار مهمة التحديد المنهجي للدعوة.

الثالث: حماية الحركة الإسلامية من مادية الفكر وتنظيم الدور العقلي في مهمة التحديد المنهجي لها باعتبارها دعوة مرتبطة بالقدر ولها أسباب وسنن.

الرابع: التفسير الكوني للحركة الإسلامية من خلال النظرية السلفية للكون والتاريخ؛ كهدف في ذاته، وكمواجهة لمحاولة التأصيل الكوني للجاهلية بكل اتجاهاتها الباطلة.

ونود أن نذكر للقارئ أن النقول السلفية في هذا الكتاب كتبت في السجن، وأن كتابات (ابن القيم) كانت من أكثر المراجع التي تيسر وجودها في هذا المكان.

ويبدو أن تأليف الكتاب في السجن مع عدم توفر المراجع واعتماد الشيخ رفاعي على ذاكرته أوجد بعض الأوهام في الكتاب، ولسنا هنا بصدد تتبع ذلك، ولكن لا

بـد أن ننبـه إلـى وهـم في غايـة الغرابـة والخطـورة، وهـو قـول الشـيخ وهـو يتحـدث عـن التقليـل مـن أضـرار الفتـن:

«الأمـر بقتـل أي زوجـة مـن زوجاتـه تتجـاوز بعـد وفاتـه مكانـا حـدده لهـن، وهـذا الأمـر الـذي ذكـر علـي عائشـة فعـادت قائلـة: حسـبي حسـبي، حديـث رواه أحمـد والبخـاري. وقـد كان هـذا الحديـث سـببا في تقليـل الأضـرار التـي نشـأت عـن الفتنـة».

فهـذا الحديـث الـذي ذكـره الشـيخ وعـزاه إلـى أحمـد والبخـاري بحثـت عنـه فلـم أجـد لـه أصـلا في كتـب السـنة، والنـكارة الشـديدة واضحـة فيـه، فجـل مـن لا يخطـئ ولا ينسـى.

التصـور السياسـي للحركـة الإسـلامية: وقـد ذكـر المؤلـف غايتـه مـن هـذا الكتـاب في مقدمتـه، فقـال: هـذا الكتـاب محاولـة للوصـول إلـى تصـور سياسـي للحركـة الإسـلامية، ينبنـي على نظريـة سياسـية إسـلامية تقـوم على التأصيـل الشـرعي والتحديـد الواقعـي.

والكتاب مقسم إلى أربعة أبواب:

الباب الأول: النظرية السياسية الإسلامية.

الباب الثاني: الممارسة السياسية.

الباب الثالث: النظرية السياسية الجاهلية.

الباب الرابع: الموقف السياسي العام للصراع بين الجاهلية والإسلام.

كتـاب في النفـس والدعـوة: وقـد بيـن الشـيخ رفاعـي الأهـداف مـن كتابـه هـذا في قولـه في مقدمتـه: كمـا كان الكتـاب مواجهـة مـع النفـس..

مواجهة مع الضعف - الركون - التراجع - الفتور..

مع الخداع والتضليل والتبرير..

مع العورات النفسية والخفايا الوجدانية..

ثم جاء الكتاب بعد ارتباطه بمنهج الدعوة..

لمواجهه ذاتية للحركة الإسلامية..

مع السلوك والظواهر..

والإحساسات المترسبة من حياتنا الجاهلية في كياناتنا النفسية..

ومن أجل تلك المواجهة..
كانت الدراسة شرعية ودقيقة، وتحدد الأمراض بحسم تام...
لنقرر العلاجات بتوفيق من الله وثقة في الشرع.. بلا مواربة أو هوادة أو تردد...
فهي دراسة خافضة رافعة، ولكن ليس في الواقع كما سيكون الأمر يوم القيامة، بل أمام النفس وداخلها.

كل منا يعرف نفسه، ولكن الشرع يحدد النفس التي نعرفها جميعاً كالتي يعرفها صاحبها..
وكانت هذه هي إحدى أهداف الكتاب..
ثم هدف آخر هو الدراسة النفسية ذاتها، الدراسة النفسية السلفية المتأصلة تأصيلاً شرعياً، البعيدة عن المناهج الغربية، وذلك في إطار الخطة الفكرية المطروحة من الحركة الإسلامية والمسماة باسمها «خطة أسلمه العلوم».

كتاب عندما ترعى الذئاب الغنم: وهو جزأين؛ تحدث في الأول عن الشيطان والمعركة الدائرة بينه وبين الإنسان وما هو الحرز من الشيطان، وبين أن السحر هو دين الشيطان، واستفاض في الحديث عن ذلك، ثم ذكر العلاقة بين الشيطان وبين بعض الرموز الجاهلية، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدد من اللغات الأجنبية.

وقد أدى هذا الكتاب إلى اعتقال الشيخ وزجه في السجون وتعذيبه، كما ذكر ذلك الدكتور عبد الله الأسود والمهندس وسام عبد الوارث.

يقول الشيخ رفاعي: لما طبع كتاب (عندما ترعى الذئاب الغنم) طبعته الأولى كان يهدف إلى مواجهة إلحادية استمرت في الفترة الاشتراكية الناصرية، وكان مما ألقت به تلك الموجة من نفايات الفكر هو أن الشيطان مجرد فكرة رمزية للشر وليس هناك في الواقع ما يُسمّى شيطاناً، ولذلك كان الكتاب محاولة لإثبات (واقع الشيطان).

ويقول ابنه عمر: (عندما ترعى الذئاب الغنم) كتبه أبي -رحمه الله- بعد انتشار

موجـة الإلحـاد -التـي دعمهـا الهالـك عبـد الناصـر في السـتينيات- ليبيّـن علاقـة الشـيطان بالسـلطة الجاهليـة واسـتحواذه عليهـا، فتتحقّـق المقابلـة بيـن الكتـاب وبيـن الفكـر الإلحـادي الـذي كان ينكـر وجـود الشـيطان.

وأمـا الجـزء الثانـي فتحـدث عـن إبليـس وسـيطرته وسـعيه لمضاهـاة خلـق الله وذكـر علاقتـه بالشـعرى والأهرامـات ومثلـث برمـودا وغيـر ذلـك، وهـذا الجـزء ملـيء بالغرائـب وفيـه تكلفـات وتأويـلات بعيـدة.

كتـاب المسـيح دراسـة سـلفية: وأصـدق وصـف لهـذا الكتـاب هـو مـا ذكـره الشـيخ حسـام أبـو البخـاري أنـه إعـادة إنتـاج وتلخيـص لكتـاب شـيخ الإسـلام: الجـواب الصحيـح لمـن بـدل ديـن المسـيح.
وهذا ظاهر من كثرة نقول الشيخ عن كتاب شيخ الإسلام وشرحه له.

يقـول الشـيخ حسـام أبـو البخـاري: تتلمـذت على يـد الشـيخ في علـم لا يعلـم الكثيـرون أن الشـيخ متبحـر فيـه، وهـو علـم مقارنـة الأديـان، أو الـرد على الشـبهات، واسـتمرت ملازمتـي لـه إلـى عـام 2011م، وكان كلمـا يلتقـي بـي يسـألني: هـل يوجـد شـبهة جديـدة عـن الإسـلام، فقـد كان لا يتصـور أن هنـاك سـؤالا عـن الإسـلام لا يوجـد لـه جـواب، وكانـت إجاباتـه في غايـة العمـق.

وللشـيخ مقاطـع مرئيـة في الـرد على جهـالات الأفـاك زكريـا بطـرس بيّـن الشـيخ فيهـا كـذب بطـرس ودجلـه وتجنيـه على الإسـلام.

ولعمـر رفاعـي سـرور رحمـه الله مقـال مهـم يتعلـق بكتابـات أبيـه، رد فيـه على بعـض مـن نفـى أن يكـون الشـيخ رفاعـي يـرى الصـدام مـع السـلطة، وهـذا نصـه:
تسـاءل أحدهـم عـن موقـع (الصـدام المسـلح) مـع السـلطة في كتابـات أبـي رحمـه الله، منكـرًا وجـوده.

لـكل سـؤالٍ مـا وراءه؛ ووراء هـذا السـؤال شـخص تعـرّض لتجربـة قاسـية -بالنسـبة إليـه- مـع الطواغيـت حملتـه على إعـادة حسـاباته، ووصولـه إلـى قناعـة في التعامـل معهـم، قائمـةٍ على الموادعـة، وهـو الآن يريـد أن يسـتأنس لهـا؛ وكان الأولـى لـه -بـدلًا مـن نبـش القبـور- أن يبـذل جهـده في فهـم القـرآن، فهـو آكـد مـا ينبغـي أن يفعلـه العبـد عنـد الصدمـات الحاملـة على إعـادة جميـع الحسـابات، كمـا ينبغـي أن تكـون دراسـته للقـرآن متجـردة عـن أيـة قـرارات أخذهـا نتيجـة تلـك الصدمـات؛ لأن التعامـل مـع القـرآن مـن غيـر هـذا التجـرد، وقراءتـه بقناعـة مسـبقة، يجعـل مـن القـرآن نفسـه سـببًا للزيـادة في ضلال القـارئ، فهـذه صفـة القـرءان الـذي أحكمـت آياتـه.

سـؤاله عـن (الصـدام المسـلح) يـدل على أنـه لـم يُحسـن قـراءة الكتـب ولـم يحسـن قـراءة الكاتـب، حيـث خَـلَط بيـن كتـب «حـرب العصابـات» وبيـن كتـب «الجهـاد» الـذي تقيمـه جماعـة تسـعى للوصـول إلـى «السـلطة» بعـد خلـع الحاكـم بغيـر مـا أنـزل الله بالقـوة.

كتابـات أبـي كلهـا -بـلا اسـتثناء- مـن النـوع الثانـي، حيـث تهـدف إلـى بنـاء الفـرد المسـلم بنـاءً خاصًّـا، يمكنـه مـن مواجهـة الحكـم الجاهلـي حالـة الاسـتضعاف، ثـم تكويـن الجماعـة المسـلمة التـي «تجاهـد» السـلطة الجاهليـة، وتخـوض معهـا الصـراع في كافـة المسـتويات النفسـية والاجتماعيـة والسياسـية والعسـكرية؛ وبيـان ذلـك -بصـورة كاملـة- يحتـاج إلـى فهـم كتبـه على ضـوء قـراءة حياتـه؛ لكننـي هنـا سـأكتفي ببعـض الحلقـات التـي أذكـر فيهـا نصوصًـا ظاهـرة، تناسـب ذوي الأفهـام البسـيطة، لتكـون مقدمـة لهـم يفهمـون بهـا كتبـه بصـورة أعمـق.

نبـدأ بـأول كتـاب لـه، وهـو أصحـاب الأخـدود الـذي كتبـه في مقتبـل عمـره نتيجـة لتأثـره الشـديد باستشـهاد سـيد قطـب -رحمـه الله-، والـذي يعـد مـن مجـددي قضيـة الحاكميـة وفريضـة الجهـاد.

قال أبي -رحمه الله- شارحا أول جملة من حديث أصحاب الأخدود:

(كان ملـك..)... فـكان أول مـا وضـح منهـا هـو ضـرورة المواجهـة -منـذ البدايـة- بيـن واقـع

الدعـوة والسـلطة الكافـرة التـي تسـيطر على واقـع النـاس المـراد تحقيـق غايـة الدعـوة فيهـم.

ولقـد بـرزت ضـرورة المواجهـة بيـن الدعـوة إلـى الحـق والحكـم الباطـل بصـورة واضحـة جـداً في دعـوة موسـى... ذلـك أن الرسـالة لـم تكـن أصـلاً إلـى فرعـون؛ لأن موسـى كان مرسـلاً إلـى بنـي إسـرائيل، وكان كل مـا يريـده هـو الخـروج ببنـي إسـرائيل مـن مصـر، ورغم هـذا فـإن المواجهـة كانـت مـع فرعـون باعتبـاره مسـيطراً على واقـع النـاس الذيـن كانـت الرسـالة إليهـم، وكانـت مواجهـة عقيديـة مرتبطـة بتصـور الدعـوة ومنهجهـا، مؤكـدة كل حقائـق الرسـالة وقضاياهـا، وبهـذا يكـون موسـى قـد بـدأ بدعوتـه إلـى بنـي إسـرائيل البدايـة الطبيعيـة عندمـا واجـه فرعـون ومـلأه.

وبذلـك نفهـم أن العـداء بيـن الدعـاة إلـى الحـق وبيـن حـكام الباطـل أمـر بدهـي مفـروض مـن البدايـة، وبمجـرد التفكيـر في غايـة الدعـوة والنظـر إلـى واقـع النـاس.

وعلى هـذا فـإن أي دعـوة إلـى الحـق تُظهـر في الواقـع الباطـل توجيهـاً نظريـاً أو فكريـاً مجـرداً لا يتضمـن تقديـر مواجهـة هـذا الباطـل في قوتـه وسـلطانه سـتكون قتيلـة بسـنن الوجـود وتُلفـظ مـن واقـع النـاس كالجنيـن الـذي يلفظـه الرحـم وهـو غيـر مخلَّـق.

فالحكـم ضـرورة في تصـور الدعـوة، ولكنـه لـن يأتـي منحـة مـن المغتصبيـن لـه ولـن يتحقـق بالمسـاومات الرخيصـة. بـل يجـب أن يسـترد بالجهـاد والعمـل ليكـون ولايـة شـرعية حقيقيـة وليـس مجـرد تسـلط شـخصي أو سـيادة فرديـة دون إمكانيـات القيـام بالحكـم والاسـتمرار فيـه بعـد الوصـول إليـه.

ويجـب ألا يمنـع الاسـتضعاف ضـرورة المواجهـة بيـن الدعـوة والحكـم الظالـم، وليـس في تلـك المواجهـة دون اعتبـار للإمكانيـات الماديـة - أي تهـور، ولهـذا بيَّـن الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم أن سـيد الشـهداء مـن يقـوم إلـى حاكـم ظالـم يأمـره وينهـاه، وهـو يعلـم أنه سـيقتله فقـال: (سـيد الشـهداء حمـزة ورجـل قـام إلـى إمـام ظالـم فأمـره ونهـاه فقتلـه)

لأنـه أكـد مـا يؤكـده الشـهداء بقتالهـم الكافريـن أصحـاب القـوة والسـلطان، ويزيـد عليهـم أن الشـهداء كانـوا يقاتلـون باحتمـال النصـر أو الشـهادة، وهـو يواجـه باحتمـال واحـد وهـو الشـهادة. انتهـى باختصـار. وإلـى لقـاء آخـر إن شـاء الله.

اسـتكمالًا لتبصيـر السـائل بمـا يسـميه (الصـدام المسـلح مـع السـلطة) وموقعـه في كتابـات أبـي رحمـه الله سـأنتقل بعـد أصحـاب الأخـدود -أول مـا كتـب- إلـى (المسـيح ابـن مريـم.. دراسـة سـلفية) وهـو آخـر مـا كتـب.

هذا الانتقال الذي تجاوزت به الترتيب الزمني للكتب له سببان:
الأول: إثبـات أن مـا كتبـه أبـي -رحمـه الله- أول حياته في بيـان ضرورة الجهـاد لإقامة الدين هـو الـذي اسـتمر عليـه إلـى آخـر سـاعة في عمـره، والتـي كتـب فيهـا الكلمـة الشـهيرة: (إن الطواغيـت لا تؤثـر فيهـم تلـك الفاعليـات الرمزيـة مـا داموا آمنيـن في قصورهـم، فينبغـي أن نبايـع لا على الجهـاد بـل على المـوت في سـبيل الله) وتركهـا على المصحـف الـذي كان يقـرأ فيـه، ثـم نـزل إلـى صـلاة العصـر وفاضـت روحـه في المسـجد بعـد الوضـوء.
الثانـي: الـرد على زعمـه بـأن أبـي -رحمـه الله- قـد انتقـل إلـى مناظـرات النصـارى هروبًـا مـن قضايـا الجهـاد.

وتبصيرًا للسائل المُشكِّك أقول:
إن السـبب الـذي حمـل أبـي على هـذا الانتقـال، قـد بيّنـه لـي في إحـدى زياراتـه لـي وأنـا في السـجن، حيـن سـألته عـن سـبب فتحـه لملـف النصـارى، وكتابتـه لكتـاب المسـيح ابـن مريـم، فقـال لـي: الحـرب القادمـة في مصـر سـتكون صليبيـة؛ وهـذا مـا كان، وقـد أراد أن تكـون قضيـة النصـارى إحـدى ملفـات الصـراع مـع السـلطة، حتـى لا ينفـك الصـراع عـن التوحيـد إلـى العيـش والحريـة والعدالـة الاجتماعيـة.

يـدل على هـذا فرقـان عظيـم نبّـه عليـه بيـن الـرأي والحـرب، وبيّـن وجـوب مقابلـة كلٍّ بمـا يناسـبه؛ وأعتقـد أنـه لـم يُسـبق إلـى هـذا الفرقـان مـن كبـار المنشـغلين بهـذا البـاب في العصـر الحديـث.

قال رحمه الله: (وفي إطار العلاقة بين الجدل والقتال يكون الحد بين الرأي والحرب..
وفي ضوء العلاقة بين الجدال والقتال يمكننا تحديد أهم مفاهيم المواجهة، وهو الفرق بين الرأي والحرب، بتفسير الفرق بين القول الذي يقول فيه صاحبه رأيًا يخالف الإسلام فيستوجب ذلك الرد على صاحبه بحكمة وعلم.. وبين القول الذي يحارب به صاحبه الإسلام، فيكون الرأي للرأي والحرب للحرب، فإذا قال قائلٌ في الإسلام قولًا غير معقول وغير واقعي يكون هذا القول حربًا لا رأيًا؛ لذا يتطلب الأمر تحديد الحد بين الرأي والحرب، وذلك من خلال عدة جوانب:
- النظر إلى شخص القائل، من حيث احتمال جهله بالقول من عدمه.
- النظر إلى معقولية القول؛ لأن هذه المعقولية هي التي تنفي شبهة الحرب.
- والنظر إلى ظروف القول؛ لأن أي قول يقال في سياق الحرب على الإسلام يأخذ حكم الحرب، مثل التحرك بقول بقصد إشاعته، لا بقصد مناقشته أو تبيين معناه..) انتهى .

وهذه قراءة سريعة يسيرة في كتاب حكمة الدعوة:
بعد بيانه -رحمه الله- لحركة الجاهلية ضد الإسلام، وأنها دعوة وإصرار ومفاصلة وإنفاق وقتال ومزاحمة في المكان ومطاردة في الأرض وتربّصُ وتَرصُّد ومراقبة وتتبُّع، قال:
(ولعل هذه الملامح تكون واضحة لأصحاب فكرة التربية النظرية الهادئة؛ هؤلاء الذين يتخيَّلون توقف الحركة الجاهلية، ويطفئون في إحساسهم اشتعال الصراع، ويفترضون أن الجاهلية ستتركهم يربون جيلاً إسلامياً، وينشئون تجمعاً قوياً).

ثم بين منشأ خطأ أصحاب فكرة التربية النظرية، فقال:
(ولعل الخطأ الأساسي عند أصحاب هذا الفهم هو: الظن بأن الصراع بين الجاهلية والإسلام يرجع إلى التوقع الجاهلي بأن الإسلام يريد السيطرة، فيتخيّلون أن الابتعاد عن محاولة الوصول للسلطة هو الذي سيعطي للمسلمين فرصة الوجود..) وعالج هذا الخطأ بقوله:
(وهذا الظن خاطئ؛ لأن الصراع بين الجاهلية والإسلام يرجع إلى رفض الإسلام ذاته،

حتى لو تمثل في صورة فردية مجردة من أيّة قوة، والقرآن يبيّن أن الرفض الجاهلي للوجود الإسلامي سيكون في غاية القسوة، حتى لو كان هذا الوجود في أبسط صورة، فيقول الله عز وجل: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا). والصورة المرفوضة هنا هي أن عبد الله قام يدعو الله... وهذا يعني أن المواجهة مفروضة على المسلم بمجرد إسلامه).

ثم جعل ما سبق مقدمة لتحديد منهج الدعوة وضرورة استخدام القوة في مهمة التبليغ، فقال:
(ومع الأسلوب الصحيح في التبليغ والمواجهة السليمة في الصراع بالكلمة بين الجاهلية والإسلام تتأكد ضرورة القوة في مهمة التبليغ. فللقوة أثر عميق في فهم الحق، ولهذا قال قوم شعيب له: (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا).

وواضح من الآية أن رؤية قوم شعيب له ضعيفاً هي علة عدم فقههم للدعوة، ولذلك يأمر الله -عز وجل- نبينا صلى الله عليه وسلم أن يشرّد بالكفار من خلفهم لكي يتذكروا ويفهموا (فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) واعتبار القوة وسيلة هداية يحتم أن تصطبغ الدعوة بها. ولهذا يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم معنى القوة محتويًا لمضمون الدعوة، فيقول: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري).

ثم رد على الزاعمين بأن استخدام القوة لتحقيق الهداية سيُؤثِّر سلبًا على التبليغ بالكلمة، فقال:
(واعتبار القوة وسيلة من وسائل الهداية ليس فيه تجاوز على وسيلة الإقناع بالكلمة، ولكن ما يترتب على ذلك هو تحديد الأسلوب القتالي بهذا الاعتبار، حتى لا تنفصل الحركة القتالية عن هدف الهداية).

وبعد بيان العلاقة بين القوة وتحقيق الهداية بيّن أن القوة هي أساس إقامة

السـلطة، والتـي تُعـدُّ الوسـيلة الأخـرى لتحقيـق الهدايـة، فقـال:
(واعتبـار القـوة وسـيلة هدايـة يرجـع إلـى كونهـا أساسـاً لقيـام السـلطة الإسـلامية، التـي تعتبـر بدورهـا أساسًـا في تحقيـق الهدايـة. ودليـل العلاقـة بيـن القـوة والسـلطة والهدايـة هـو قـول الله عـز وجـل: (إِذَا جَـاء نَصْـرُ اللَّهِ وَالْفَتْـحُ وَرَأَيْـتَ النَّـاسَ يَدْخُلُـونَ فِي دِيـنِ اللَّهِ أَفْوَاجًـا فَسَـبِّحْ بِحَمْـدِ رَبِّـكَ وَاسْـتَغْفِرْهُ إِنَّـهُ كَانَ تَوَّابًـا).

ولذلـك يجـب أن يكـون خـط القتـال مشـدودًا إلـى موقـع السـلطة، لتحقيـق العلاقـة التـي أثبتهـا القـرآن بيـن النصـر والفتـح، باعتبـار أن النصـر هـو النتيجـة العسـكرية للقتـال، وأن الفتـح هـو النتيجـة السياسـية للنصـر).

(هـذا هـو منهـج الدعـوة ودسـتورها مـا دام الأمـر في دائـرة الدعـوة باللسـان والجـدل بالحجـة. فأمـا إذا وقـع الاعتـداء على أهـل الدعـوة فـإن الموقـف يتغيـر، فالاعتـداء عمـل مـادي يُدفـع بمثلـه إعـزازًا لكرامـة الحـق، ودفعًـا لغلبـة الباطـل).

(فالإسـلام ديـن العـدل والاعتـدال وديـن السـلم والمسـالمة، إنمـا يدفـع عـن نفسـه وأهلـه البغـي ولا يبغـي: (وَإِنْ عَاقَبْتُـمْ فَعَاقِبُـواْ بِمِثْـلِ مَـا عُوقِبْتُـم بِـهِ)
وليـس ذلـك بعيـدًا عـن دسـتور الدعـوة، فهـو جـزء منـه، فالدفـع عـن الدعـوة في حـدود القصـد والعـدل يحفـظ لهـا كرامتهـا وعزتهـا، فـلا تهـون في نفـوس النـاس، والدعـوة المهينـة لا يعتنقهـا أحـد ولا يثـق أنهـا دعـوة الله، فـالله لا يتـرك دعوتـه مهينـة لا تدفـع عـن نفسـها، والمؤمنـون بـالله لا يقبلـون الضيـم وهـم دعـاة الله والعـزة لله جميعـاً، ثـم إنهـم أمنـاء على إقامـة الحـق في هـذه الأرض، وتحقيـق العـدل بيـن النـاس، وقيـادة البشـرية إلـى الطريـق القويـم، فكيـف ينهضـون بهـذا كلـه وهـم يعاقَبـون فـلا يعاقِبـون، ويُعتـدى عليهـم فـلا يـردون؟).

هـذا بعـض مـا بيَّنـه أبـي رحمـه الله؛ ومـن قبلـه عرضـت مـا جـاء في أصحـاب الأخـدود -أول مـا كتـب- ثـم ثنَّيـت بكتـاب: (المسـيح ابـن مريـم.. تصـور سـلفي) وهـو آخـر مـا كتـب؛ فـالآن يأتـي مـن يدَّعـي بأنـه قـرأ كتابـات أبـي، وأنـه مـن خواصـه الذيـن لازمـوه، ثـم

ينفـي وجـود مـا يسـميه بالصـدام المسـلّح مـع السـلطة في تلـك الكتابـات، فـلا شـك في ضعـف عقلـه أو كذبـه وسـوء طويتـه.

وقـد أخبرنـي الشـيخ أبـو حسـام، فقـال: كان الشـيخ رفاعـي يـرى أن أيّ حـزب أو جماعـة إسـلامية لا يكـون هدفهـا الوصـول إلـى الحكـم وإزالـة الطواغيـت وتحكيـم الشـريعة فهـي جماعـة لا لـزوم لهـا، وكان يعتقـد أن الجهـاد هـو الطريـق الوحيـد لإقامـة الشـريعة، ولـو كان هنـاك طريـق آخـر لفعلـه النبـي عليـه الصـلاة والسـلام، وكان كثيـرا مـا يـردد قولـه تعالـى: (وَالَّذِيـنَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْدِيَنَّهُـمْ سُـبُلَنَا)، ويقـول: لـن يضيـع الله الجماعـات الجهاديـة السـنية، وكان لا يسـمح لأحـد يسـب المجاهديـن بدخـول بيتـه أبـدا، وقـد نـدم لأنـه لـم يقـدم لكتـاب الفريضـة الغائبـة لعبـد السـلام فـرج.

كمـا أخبرنـي أن الشـيخ رفاعـي كان لا يبيـح لنفسـه الخـروج مـن مصـر لعظـم المفسـدة التـي سـتحصل بخروجـه، وكان يقـول: كل كلمـة أكتبهـا لتصـب في صالـح الجهـاد، وكان يقـول: مـن نعمـة الله على إخـوة الجهـاد في مصـر أن الله عصمهـم في خمـس مسـائل فلـم يضلـوا فيهـا مـع صغـر سـنهم؛ مسـألة الإيمـان، ومسـألة الحاكميـة، ومسـألة الجهـاد المسـلح، ومسـألة الخـروج على الحاكـم، ومسـألة العـذر بالجهـل.

وأخبرنـي أن الشـيخ رفاعـي في آخـر عمـره كان يمـارس الرياضـة مـن بـاب الإعـداد للجهـاد، وكان يعتقـد أن الحركـة الجهاديـة امتـداد طبيعـي لأثـر النبـوة.

وقد أخبرني الشيخ أبو حسام المصري أن للشيخ رفاعي كتبا لمّا تطبع، وهي:

- علـم المناسـبة في القـرآن (ذكـر الشـيخ حسـام أبـو البخـاري أنـه سـيعمل على إخراجـه مـع أبنـاء الشـيخ، لكنـه اعتقـل بعـد الانقـلاب المشـؤوم، فحسـبنا الله ونعـم الوكيـل، ونسـأل الله الفـرج لجميـع الأسـرى المظلوميـن في سـجون عـدو الله السيسـي).
- عمر والشيعة.
- الملائكة.
- الأذكار دراسة منهجية.

- الثورة بمصر.
- دلائل النبوة (ولم يكمله، ذكر ذلك الشيخ حسام أبو البخاري).

وفي آخر كتابه التصور السياسي وجدت إضافة إلى ما سبق ذكره كتابين ضمن فهرسة مؤلفاته، وهما:

- كيف تحدث الرسول.
- الإسراء.

- وله كتاب عن أبي الهول، فقد قال في الجزء الثاني من كتاب: عندما ترعى الذئاب الغنم: وتدل كل الآثار التي كشفت في هذه المنطقة حتى الآن، على أن أبا الهول هو الإله الذي يحرس الموتى في الغرب، وأنه مظهر الشمس عند غيابها في الأفق، وسنكتفي هنا بهذا القدر عن أبي الهول، إذ خصصنا له بحثاً خاصاً في مجلدين ضخمين، سننشرهما عندما تتهيأ الأحوال لذلك إن شاء الله.

ويظهر من هذا أنه انتهى من تأليفه، ولا نعلم لماذا لم ينشره.

ثم علمت أنه لم يشرع في تأليفه وإنما دون بعض الأفكار في قصاصات ورقية ثم توفاه الله قبل أن يشرع في تحويلها إلى كتاب

وكان الشيخ يريد أن يكتب تأريخا للحركة الإسلامية إلا أن المنية حالت دون ذلك.

- وله عدد من المقالات القيمة، ومنها:

الحرب على الختان: وقد نشرها عام 2007م يبين فيها أن من يقف وراء الحرب على الختان ومنعه هم اليهود منطلقين من فهمهم المادي السقيم، فالختان هو العلامة التي أعطاها الله لذرية إبراهيم دليلا على استحقاق الولاية على البشر كما جاء في التوراة، ولذلك يظن اليهود أن منع العرب من الختان سيحرمهم من الولاية، ومن هنا كانت الحرب على الختان، وقد بدأها بولس اليهودي بخطوات شيطانية.

رضاع الكبير رؤية أعمق وأشمل: وفيه يرد على شبهة رضاع الكبير في قصة سالم مولى أبي حذيفة، وقد بين في هذا المقال صورة المسألة وشرح القصة، ثم تكلم عن ثلاث مسائل، وهي:

الأولى: الطريقة التي رضع بها سالم.

الثانية: خصوص حكم رضاع الكبير بسالم أم عمومه للمسلمين.

الثالثة: حقيقة الخلاف بين السيدة عائشة وأمهات المؤمنين.

الحرب على الشريعة: ذكر فيه أن أول ما تواجه الجاهلية في حربها على الشريعة هو مفاهيم الشريعة وتصوراتها، باعتبار أن الأفعال لازم من لوازم المفاهيم والتصورات «المضمون العقدي»، وبين أن السياسة أوسع الثغرات في الحرب على الشريعة، ونبه إلى أن حرب الجاهلية على الشريعة تأخذ بعدين:

أحدهما: تاريخي يتم فيه مهاجمة تاريخ المسلمين وخاصة الأيام التي طبقت فيها الشريعة.

والثاني: واقعي ويعنون فيه بما يحدث اليوم على أرض الواقع.

معركة الإنترنت تصور منهجي: تحدث فيه عن آفات الإنترنت المختلفة وحذر منها.

قواعد عامة في الرد على شبهات النصارى: ذكر فيه سبع قواعد علمية للتعامل مع الشبهات.

البدعة رؤية تحليلية: تكلم فيها عن البدعة وأثارها.

صوت الوحي وصلصلة الجرس: رد فيه على شبهة: كيف يشبه صوت الوحي صوت الجرس المنهي عنه.

عيسى وفرعون سياقات قرآنية في قضية المسيح: بين فيه أن زخرف القول الذي حاول به فرعون إقناع الناس بادعائه للألوهية هو نفس الزخرف الذي يحاول به أحبار النصارى ورهبانهم إقناع الناس بادعائهم ألوهية عيسى.

الرد على شبهة الكلمة التي قيلت للمتطهرين من الزنا: ذكر فيه سبب تصريح النبي عليه الصلاة والسلام بكلمة يستحيا منها عادة في قصة ماعز بن مالك.

رد شبهة الكتابي فداء للمسلم من النار: أجاب فيه عن الإشكال الوارد على الحديث موضوع المقال.

خصائـص الشـريعة تفسـير لغـوي: ذكـر معانـي الشـريعة في لسـان العـرب لابـن منظـور وبيـن الارتبـاط بيـن المعنـى اللغـوي لكلمـة الشـريعة وبيـن شـريعة الله.

افتراضـات التدافـع بيـن الحـق والباطـل: وهـو مقـال قيـم جـدا، ذكـر فيـه عـددا مـن الحقائـق المهمـة في إطـار مفهـوم التدافـع بيـن الحـق والباطـل، وذكـر أن التدافـع بيـن أطـراف العـداء يقـوم بعـدة افتراضـات، وبيَّـن المقتضيـات العمليـة لـكل افتـراض.

الشـريعة وحـق الهيمنـة: تحـدث فيـه عـن وجـوب الهيمنـة لأصحـاب الحـق وهـم حملـة هـذا الديـن، يقـول فيـه: والولايـة الإسـلامية على البشـرية ليسـت ادعـاء أو اسـتجداء مـن الأمـة للبشـر، كمـا أنهـا ليسـت منّـا أو تفضـلا مـن البشـر على الأمـة، ولكنهـا حـق إلهـي ثابـت للأمـة، وعقيـدة ينطلـق منهـا مشـروعها الحضـاري وتصورهـا السياسـي وممارسـتها الواقعيـة.

أبنـاء الدعـاة مسـألة في التربيـة: وهـو يعالـج في هـذا المقـال مشـكلة تربيـة أبنـاء الداعيـة، ويضـع حلـولا للمشـكلات الكثيـرة في بيـت الدعـوة.

رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم والدمـاء: ذكـر فيهـا موقـف رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم مـن الدمـاء، ومتـى كان يعفـو ومتـى كان يعاقـب.

الحملـة الصليبيـة مضمـون وأبعـاد: أوضـح فيهـا أن الحملـة الصليبيـة القائمـة جـاءت لتكشـف الكـذب المسـتمر؛ فالإسـلام هـو محـور الصـراع، والحـرب اليـوم لا تقتصـر على الجانـب الفكـري أو السياسـي أو العسـكري، بـل تتعداهـا إلى كل جوانـب الحيـاة الاقتصادية والاجتماعيـة، ثـم رسـم طـرق مواجهتهـا الشـرعية.

الرمزيـة بيـن الإسـلام والنصرانيـة: تحـدث فيهـا عـن الرمزيـة في الإسـلام والرمزيـة في النصرانيـة، وأثبـت العلاقـة الوثيقـة بيـن رمـوز الوثنيـة ورمـوز النصرانيـة.

وفـاء قسـطنطين والجريمـة الكاملـة: تحـدث فيهـا عـن جريمـة تسـليم النصرانيـة التـي أسـلمت وفـاء قسـطنطين إلـى الكنيسـة لتقتلهـا أو تعذبهـا أو تفتنهـا عـن دينهـا.
طالوت درس في الزعامة: شرح فيه قصة طالوت في سورة البقرة.

قتـل الخنزيـر بيـن ماهيـة التحريـف ورمزيـة التصحيـح: ذكـر فيـه دلالات قتـل الخنزيـر الرمزيـة في حديـث نـزول عيسـى عليـه السـلام في آخـر الزمـان.
الحجامة في الإسراء: شرح فيها أهمية الحجامة وذكر الرابط بينها وبين الجهاد.

الحاكميـة والحـرب الصليبيـة: ذكـر فيـه أن مناقشـة قضيـة الحاكميـة في القـرآن تأتـي دائمـا في سـياق مواجهـة اليهـود والنصـارى، كمـا أن مواجهـة القـرآن لليهـود والنصـارى تنطلـق أساسـا مـن قضيـة الحاكميـة.

خصائـص الزعامـة السياسـية: تحـدث فيـه عـن صفـات الزعامـة السياسـية اللازمـة لاتخـاذ القـرار السياسـي، وذكـر أنهـا: الحكمـة والإخـلاص والصبـر والـذكاء والعلـم والشـورى والعـزم والتـوكل المعيـن والحـب والألفـة وأخيـرا القـوة الشـخصية.

ليلـة القـدر والمسـيح الدجـال: ذكـر فيـه العلاقـة بيـن ليلـة القـدر والمسـيح الدجـال مـن خـلال سـورة الدخـان.

إبليـس والصلـب: وضـح فيـه أن الصليـب رمـز جوهـري لمـن اتبـع إبليـس مـن الغاويـن في جميـع الوثنيـات ابتـداء بالفرعونيـة وانتهـاء بالنصرانيـة المحرفـة.

طلـب الاعتـذار بدعـة نصرانيـة وضلالـة سياسـية: ذكـر فيـه أن ظاهـرة الاعتـذارات بدعـة نصرانيـة تسـللت إلـى الواقـع الإسـلامي مفروضـة مـن الصليبيـة الماكـرة لتحقـق عـدة أهـداف أخطرهـا تفريـغ الإحسـاس بالعـداء تجـاه هـذه الجاهليـة الصليبيـة مـن ضميـر المسـلم وعقلـه، وذلـك بالاعتـذار عـن المواقـف المعاديـة للإسـلام، وذكـر أهدافـا أخـرى خطيـرة لهـذه البدعـة.

آيـات الصيـام وعلـم المناسـبة: ذكـر فيـه المناسـبة بيـن آيـات الصيـام مـن قولـه تعالـى: (لَيْـسَ الْبِـرَّ أَنْ تُوَلُّـوا وُجُوهَكُـمْ) إلـى قولـه: (تِلْـكَ حُـدُودُ اللَّهِ فَـلَا تَقْرَبُوهَـا كَذَلِـكَ يُبَيِّـنُ اللَّهُ آيَاتِـه لِلنَّـاسِ لَعَلَّهُـمْ يَتَّقُـونَ).

مـن سـورة النحـل سـياق في علـم المناسـبة: ذكـر فيهـا التشـابه بيـن الدعـاة والنحـل، وبيـن الهـدى ومـاء السـماء، والعلاقـة بيـن الديـن والعسـل.

كعـب بـن مالـك درس في الانتمـاء: شـرح فيـه قصـة تخلفـه عـن غـزوة تبـوك، محللا الرسـالة التـي أرسـلها لـه ملـك غسـان، وانتصـار كعـب على الدعـوة الجاهليـة.

الشـواهد النفسـية على شـرك القبـور: بيـن فيهـا خطـر شـرك القبـور وأنـه ظاهـرة جامعـة لكل أفعـال الشـيطان.

رمضـان زمـن مـن الجنـة بشـهادة الأمـة: ففـي رمضـان تفتـح أبـواب الجنـة، وإنمـا يثبـت رمضـان برؤيـة الأمـة الهـلال أو قدرهـا لـه في حـال غـم عليهـا.

إسـلام زوجـات الكهنـة معطيـات ميدانيـة: تحـدث فيـه عن إسـلام عدد مـن زوجـات الكهنة النصـارى دون أن يشـعر أزواجهـن، ثـم تحـدث عـن تسـليم المسـلمات إلـى الكنيسـة ثانيـة، وبيـن وجـوب حمايـة الداخليـن إلـى الإسـلام بـكل الوسـائل والأسـاليب الممكنـة، وبيـن أن اسـتعمال القـوة مـن الجانـب المسـلم صـار احتمـالا قائمـا أمـام عمليـات الخطـف والقتـل المعلنـة والمتكررة.

المعالم الشيطانية للكنيسة الفاتيكانية: ذكر فيها الرموز الشيطانية في الفاتيكان.

كلمـات ضروريـة في جلسـة الرؤيـة الشـرعية: تحـدث فيـه عـن جلسـة رؤيـة الخاطـب لخطيبتـه وأورد عـدة نصائـح للطرفيـن.

ذكـر نبوتـه صلـى الله عليـه وسـلم وآدم منجـدل في طينتـه: شـرح فيـه حديـث العربـاض بـن سـارية، قـال: قـال رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم: «إِنِّـي عَبْـدُ اللهِ لَخَاتَـمُ النَّبِيِّيـنَ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْـهِ السَّـلاَمُ لَمُنْجَـدِلٌ فِي طِينَتِـهِ، وَسَـأُنَبِّئُكُمْ بِـأَوَّلِ ذَلِـكَ؛ دَعْـوَةُ أَبِـي إِبْرَاهِيـمَ، وَبِشَـارَةُ عِيسَـى بِـي، وَرُؤْيَـا أُمِّـي الَّتِـي رَأَتْ، وَكَذَلِـكَ أُمَّهَـاتُ النَّبِيِّيـنَ تَرَيْـنَ». وبيـن أوجـه المناسـبة في الجمـع بيـن محمـد صلـى الله عليـه وسـلم ومـن ذكـر مـن الأنبيـاء في الحديـث.

شـنودا صـورة بالحجـم الطبيعـي: تحـدث في هـذا المقـال عـن تمزيـق الرابطـة الإسـلامية وضـرب الحركـة الإسـلامية في مصـر، ثـم صناعـة شـنودا ليظهـر بصفـة زعيـم النصـارى، ومـن ثـم يرشـح للبابويـة، مـع أن الشـروط المحـددة لذلـك لـم تكـن متوفـرة فيـه، وقـد اختيـر مـن قبـل وزيـر داخليـة السـادات بشـكل مباشـر، وذكـر عداوتـه للمسـلمين وعظـم حقـده عليهـم.

مقـالات سـلفية في نقـد العلمانيـة: تحـدث في الأول منهـا عـن خطـر الحـرب الفكريـة التـي تقودهـا الجاهليـة، وبيـن أن العلمانيـة تتوافـق في أسسـها مـع أسـس الجاهليـة التـي ذكرهـا الله في كتابـه، وتحـدث في الثانـي عـن شـعار العلمانيـة فصـل الديـن عـن الدولـة.

وفاته:

تقـول ولاء: قبـل رحيلـه حكـى لـه أحدهـم رؤيـا رآهـا، فهِـم أبـي مـن تفسـيرها أن أجلـه قـد اقتـرب، فقـال للرائـي: أنـا فعـلا أشـعر في هذيـن اليوميـن أن ربنـا يناديـني.

يقـول الدكتـور عبـد الله الأسـود طبيـب الشـيخ: الشـيخ وصـى في آخـر كلامـه، وقـال: مـن أراد أن يشـم رائحـة الجنـة قبـل أن يمـوت فعليـه بفهـم القـرآن والعمـل بالقـرآن والدعـوة إلـى القـرآن، ثـم وصـى بالأمـور العامـة، وقـال: لا ينبغـي لأحـد أن يمـوت إلا وفي عنقـه بيعـة، وقـد بايـع الشـيخُ الشـيخَ حـازم أبـو إسـماعيل لمـا رأى مـن صدقـه في تطبيـق الشـريعة وإقامـة دولـة الإسـلام، وأمرنـا أن ننشـر هـذا الأمـر، وهـو على موقعـه، نسـأل

الله أن يرحمه رحمة واسعة، وكان الشيخ يخرج بنفسه في الليل يلتقي بالشباب فيكلمهم في هذا الموضوع ويتحرك في كل الاتجاهات.

ويقول ابنه عمر: جاء إليه أحدهم، وقال له: رأيت (يعني في المنام) جنازة فقام صاحبها وتوضأ ثم دخل جنازته، فقال: بشره بحسن الخاتمة، فقال الرجل: هو أنت. ويقول: توضأ استعدادا لصلاة العصر، ثم قبضه الله، وكان قبلها يقرأ القرآن، وهذا يبين شأن الصلاة وشأن القرآن في حياة الشيخ، رأيت فيه موقف الرجل يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، رأيت فيه كيف يكون القرآن بالنسبة للعبد منهج حياة كامل، كان يقرأ سورة البقرة ثم سورة يس، وهذا غالب حاله، كان يتخير سور معينة ينشرح صدرها له ويقرأ بالورقة والقلم، ولم يكن يقرأ بالسرد على حسب ترتيب السور إلا قليلا.

كان من عادته الوضوء في المنزل، لكنه قال: اليوم سأتوضأ في المسجد، فنزل وتوضأ لصلاة العصر، وبعد فراغه من الوضوء قبض عليه رحمة الله.

ويقول: أشهد الله عز وجل أنه قبض بعد وضوئه لصلاة العصر حينما خر مغشيا عليه فشج رأسه، وأشهد الله عز وجل، وقد سألت الله قبلها أن أشم دم الشهيد فاستجاب الله عز وجل لي وأشهد الله ويعلم الله أني اقتربت من هذا الجرح ووجدت فيه رائحة المسك، أقسم بالله على ذلك ويعلم الله ذلك، واشتم بعض الحاضرين ذلك وبكى بكاء شديدا، أشهد الله على ذلك، ويعلم الله عز وجل ذلك أنه ما كان يغضب لنفسه إلا قليلا.

وقد أقسم صهره خالد حربي وأشهد الله أنه شم من جراح الشيخ رائحة المسك.

وكانت وفاته في 21 / 2 / 2012م

وكتب عمر: الأواخر الحسان:

آخر ما قرأه أبي من القرآن يوم وفاته سورة ياسين؛ وكان قد قرأ قبلها سورة البقرة.

آخر ما صلاه أبي من الضحى يوم وفاته ست ركعات؛ وقد كان يصليها اثنتين.

آخر عمل مات عليه الوضوء لصلاة العصر.

آخر عهدي به تقبيل يده رغما عنه.

آخر وصاياه للحركة الإسلامية: لا صراع مع مسلم.

آخر أبنية بناها مسجد، ومدرسة لتحفيظ القرآن، وشقة للمسلمين الجُدُد.

آخر تحقيقات الطواغيت معه قضية كامليا شحاتة، وآخر ما قاله لهم: أنا أدافع عنها بصفتي مسلم.

آخر ما أخبرني به وأنا في السجن أنهم يساومونه على خروجي، وطلب مني أن أتحمل.

آخر هروب له من الطواغيت كان أيام المجلس العسكري، لما أمروا بالقبض عليه بسبب أحداث كنيسة شبرا.

آخر توقعاته للحرب في مصر أنها ستكون صليبية.

آخر اتهامات الإعلام له أنه كان يريد هدم الأهرامات وأبو الهول، وكان هذا الاتهام بعد وفاته.

آخر وصاياه لأمي: لا تغضبي من يحيى، لا تغضبي من عمر، لا تغضبي من ولاء، لا تغضبي من ياسر، لا تغضبي من جهاد، لا تغضبي من أسماء.

وكان آخر كلمة كتبها: إن الطواغيت لا تؤثر فيهم تلك الفاعليات الرمزية ما داموا آمنين في قصورهم؛ فينبغي أن نبايع لا على الجهاد بل على الموت في سبيل الله. كتبها وتركها على المصحف الذي كان يقرأ فيه، وبعد أن فرغ من قراءة سورة ياسين ثم ذهب إلى المسجد ليصلي العصر وهناك توضأ ثم فاضت روحه في المسجد بعد الوضوء لصلاة العصر، وصلّى عليه قيادات من جميع التيارات الإسلامية التي كان يسعى لتكاملها في حياته.

تقول ابنته ولاء: في اللقاء الأخير.. منذ أسبوع..

قال الشيخ: عمري 66 عاما..

وقال: نشأت في مساجد السنة وأنا في الصف السادس الابتدائي..

وقال: كتبت «أصحاب الأخدود» بعد السادسة عشرة، ونشرته وأنا في الثامنة عشرة..

وقال: بعد ما وصلنا إليه.. لن أقبل أن يقتحم بيتي عسكر أمن الدولة.. أو أن يأخذوني بسهولة من بين أهلي.. لن نقبل بالرجوع إلى الوراء مرة أخرى..

إنه شيخنا الحبيب الذي لم نلق مثله..

الشيخ/ رفاعي سرور - رحمه الله، وجمعنا به في جنته-.

وتقول: الحمد لله، رأيت البارحة أبي -رحمه الله- وهي أول رؤيا أراها له بعد وفاته، كان مبتسما منشرح الصدر؛ وسألته ماذا فعلت؟ فقال: أخذت الدكتوراه.

قلت له: في أي شيء؟

قال: في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتقول ابنته رقية: رأيت أبي فيما يرى النائم، فسألته: هل سألك منكر ونكير، قال نعم، فابتسم، وقال: ولكن جبريل كان معهما..

وقد أخبرني الشيخ أبو حسام المصري، فقال: قبل موته رأى في منامه الشيخ أسامة بن لادن والشيخ أحمد ياسين ينتظرانه على الإفطار، فأخبرني بها، وقال: لا تذكرها لأحد.

وقد حضرت جنازته جموع حاشدة غفيرة من شتى أرجاء مصر، وشاركوا في الصلاة عليه وتشييعه، وصلي عليه في مسجد النور في العباسية في القاهرة، ودفن في مقابر الجمعية الشرعية، ويصدق على الشيخ ما قاله الإمام أحمد لأهل البدع: (بيننا وبينكم يوم الجنائز).

بعض ما قيل في رثائه:

- الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل:

بعد حمد الله والصلاة على رسوله، قال: أيها الإخوة، الذي يؤثر فيّ أن هذا الرجل مهما كان الحديث عن حياته جاءت لحظة موته في وسط معركة بدأت ولم تنته بعد، ولو أنه كان قد أبطأ عن إدراك معاليها لربما فاتت الفرصة، ولكن الله قد

شـاء لـه أن يكـون ممـن لا يبطـئ، ولذلـك ذهـب بالأجـر، ولـم يـأت زمـان أصعـب، رحمـه الله رحمـة واسـعة، ولـو أنـي أسـتطيع أن أتكلـم أكثـر مـن ذلـك لقلـت لحضرتكـم الكثيـر، ولكـن أنـا لـم أكـن أعرفـه أبـدا مـن قبـل أبـدا، كل مـا في الأمـر أننـي في يـوم مـن الأيـام وقـع بصـري على كتـاب فتصفحتـه، ففوجئـت بـه كتابـا ذا قيمـة أعلى ممـا نعتادهـا في كتـب الأرصفـة، ومـرة ثانيـة وثالثـة، وعلـق الاسـم بذهنـي، ثـم لـم ألتـق بـه أبـدا إلا منـذ وقـت قريـب جـدا -شـهرين أو ثلاثـة- في وسـط هـذه الأحـداث، وأشَـهد وأشْـهد الله عـز وجـل أنـه لـم يكـن ضمـن النـاس، وإنمـا كان يحـرك الأحـداث، وكان يشـير بهـا، وكان يسـهر لهـا، ورأيتـه في مواضـع ربمـا سـنه وجلالـه وتاريخـه مـا كان يسـمح لـه أن يكـون هكـذا، ولكنـي كنـت أرى رجـلا يريـد أن يُـرى في أماكـن الغبـرة، أنتـم تعرفـون أن الأنـف التـي تمتلـئ مـن غبـار في سـبيل لا يدخلهـا دخـان جهنـم إن شـاء الله، اللهـم أعتقـه مـن النـار، واجعـل هـذا اليـوم يـوم فرحـه وسـروره...

- الدكتور أيمن الظواهري:

وفي بداية كلمتي أود أن أتقدم بتعزيتين:

فأمـا التعزيـة الأولـى فهـي للأمـة المسـلمة وللحركـة الإسـلامية وللمسـتضعفين في مصـر ولأسـرة الأخ الحبيـب والرفيـق الصديـق فضيلـة الشـيخ «رفاعـي سـرور» رحمـه الله رحمـةً واسـعة وألحقنـا بـه مـع النبييـن والصديقيـن والشـهداء والصالحيـن وحسـن أولئـك رفيقًـا، وأسـأل الله سـبحانه وتعالـى أن يلهـم أسـرته الكريمـة وأبنـاءه وإخوانـه ومحبيـه الصبـر والسـلوان.

ومعرفتـي بالشـيخ «رفاعـي سـرور» تمتـد مـن قرابـة عـام 1975م، فهـي معرفـةٌ قديمـة حيـن تعرّفـت عليـه لمّـا كان مطـاردًا بسـبب طلـب النظـام لـه أثنـاء التحقيـق في قضيـة الأخ الشـهيد المجاهـد «يحيـى هاشـم» رحمـه الله رحمـةً واسـعة، ذلـك الرائـد السـبّاق للجهـاد الـذي لـم يأخـذ حقـه في التعريـف والتكريـم، وقـد تعرّفـت على الشـيخ «رفاعـي سـرور» -رحمـه الله- عـن طريـق أحـد الإخـوة المقرّبيـن الـذي كان يؤويـه، وهـو أخٌ مشـهودٌ لـه بالشـهامة والنجـدة وكـرم الأخـلاق، وقـد اسـتفدت مـن صحبتـه وتعلّمـت منـه كثيـرًا، وقـد كان لهـذا الأخ مواقـف كريمـة مـع الشـيخ (رفاعـي سـرور) ومعـي ومـع العديـد مـن

إخواننـا، وأذكـر أنـي كنـت رفيقًـا لـه لمـا حاولنـا القيـام بمظاهـرة مـن مسـجد سـيدنا الحسـين -رضـي الله عنـه- عقـب نكسـة عـام 1967م تجاوبًـا مـع مظاهـرة الطلبـة والعمـال التـي خرجـت اعتراضًـا على الفسـاد والظلـم الـذي تسـبب في الكارثـة العسـكرية، وكنـت رفيقًـا أيضًـا لهـذا الأخ الكريـم الـذي عرّفني على الشـيخ (رفاعي سـرور) -رحمـه الله- عندما اعتصمنـا في ميـدان التحريـر عـام 1971م اعتراضًـا على نظـام (أنور السـادات) وتسـويفه في تحريـر الأراضـي العربيـة مـن الاحتـلال الإسـرائيلي، واسـتمرت علاقتـي بهـذا الأخ الكريـم في تواصـلٍ وانقطـاع إلـى أن سـمعت باسـمه في ثـورة الخامـس والعشـرين مـن يناير العظيمـة، وكان لـه فيهـا موقـفُ نبيـلُ شـجاعُ كريـم، كعادتـه، سُـجِّل لـه ونقلتـه عنـه وكالات الأنبـاء، وإنـي لأرجـو مـن الله أن تصـل كلماتـي لهـذا الأخ الشـهم الكريـم الـذي عرّفنـي على الشـيخ (رفاعـي سـرور) رحمـه الله، وأسـأل الله أن يوفقـه للثبـات على الحـق والدفـاع عنـه، وأناشـده وهـو سـليل الإمـام ابـن الإمـام والشـهيد ابـن الشـهيد الحسـين بـن علـي -رضـي الله عنهمـا- أن يتمثّـل سـيرة جـده العظيـم في نصـرة الإسـلام وتصديـه للظلـم والفسـاد السياسـي ودفاعـه عن الشـورى، فأناشـد هـذا النبيـل الهاشـمي والفارس الحسـيني أن ينصـر الإسـلام في معركتـه في مصـر، وقـد تكالبـت عليـه قـوى العلمانيـة ومـن ورائهـا الحملـة الصليبيـة الأمريكيـة الصهيونيـة تسـعى في تنحيـة الشـريعة عـن الحكـم وتتسـابق لكـي تكـون مصـر دولـةً علمانيـة تديـن بالـولاء للوطنيـة الضيقـة وتنـأى عـن أمـل عـودة الخلافـة وأخـوة الإسـلام ووحـدة ديـار المسـلمين، وتنخـرط في الظلـم العالمـي الـذي يسـوِّقونه باسـم الشـرعية الدوليـة لنركـع أمـام الهيمنـة الأمريكيـة ونخنـع للتطبيـع الإسـرائيلي، ولكـي يسـتمر النظـام الفاسـد بعـد أن رحـل الحاكـم الفاسـد.

أناشـد هـذا الأخ الكريـم وكل حـرٍّ شـريف في مصـر أن يتصـدوا لمحـاولات طمـس حقيقـة مصـر الإسـلامية العربيـة، وأن يحتفظـوا بمصـر كمـا كانـت -وسـتبقى بـإذن الله- مصـر عمـرو بـن العـاص رضـي الله عنـه، والليـث بـن سـعد، والشـافعي، وصـلاح الديـن الأيوبـي، والعـز بـن عبـد السـلام، وسـيف الديـن قطـز، وركـن الديـن بيبـرس، وابـن تيميـة، وعمـر مكـرم، وسـليمان الحلبـي، والشـيخ عليـش، والشـيخ حسـن العـدوي، وإبراهيـم الوردانـي، وحسـن البنـا، وعـز الديـن القسـام، وعبـد القـادر عـودة، وسـيد قطـب، وأحمـد شـاكر، وعبـد الرحمـن عـزام، وعبـد الله عـزام، وخالـد الإسـلامبولي، ويحيـى هاشـم، وصـلاح أبـو

إسماعيل، وعصام القمري، وسليمان خاطر، وعلي عبد الفتاح، وأبي عبيدة البنشيري، وأبي حفص المصري، ومحمد عطا، رحمهم الله أجمعين. وليست مصر بونابرت ساري عسكر، والمعلم يعقوب، وبطرس غالي، وفتحي زغلول، وعبد الخالق ثروت، وعبد العزيز فهمي، وسلامة موسى، وإبراهيم الهلباوي، وأمين عثمان، وهنري كوريل، وشمس بدران، وحمزة البسيوني، وأنور السادات، وحسني مبارك، وفرج فودة، وفاروق حسني، ونجيب ساويرس. وأعود لذكرى الشيخ (رفاعي سرور) رحمه الله، وكما ذكرت فقد عرفته لما كان مطاردًا، وكم كان مطاردًا! وكان يكتب في هذه المدة كتابه الفريد (بيت الدعوة) وقد اطلعت عليه ولا زال مسودة لم تطبع، وذكر لي أنه يرغب في أن يهدي هذا الكتاب لبنات الشهيد -كما نحسبه- (يحيى هاشم) رحمه الله. وفي أثناء تخفي الشيخ رفاعي -رحمه الله- لم يكف عن الدعوة والتوعية، وقد كان يلقي الدروس في المسجد المجاور للسكن المختبئ فيه ويربي الشباب ويوعيهم.

ثم فرّقت بيننا الأحداث إلى أن قابلت الشيخ رفاعي مرةً أخرى في سجن ليمان طرة؛ حيث كنا متهمين في قضية الجهاد الكبرى، ومكثت معه في السجن قرابة سنتين، استفدت فيها من حكمته ورؤيته الثاقبة وسماحته وتعاليه على الصغائر وإنكاره لذاته وتواضعه وخفة دمه وذكائه اللمّاح وفكاهته المعبِّرة اللاذعة، ومن أمثلة فكاهاته المعبِّرة ما كان يذكره عن بعض المنتسبين للعمل الإسلامي الذين يلجؤون للعمل السلمي فقط ويركِّزون على تربية الأجيال ليتخرّج منهم الطبيب المسلم والمهندس المسلم والتاجر المسلم، إلخ، متناسين ما يدور حولهم من عداءٍ ومؤامرات، فيقول رحمه الله: إنهم يعملون بنظرية مزرعة الدواجن التي يتصور أصحابها أنّ دجاجهم سيبيض ثم ينتج البيض أفراخًا ثم تكبر الأفراخ وتبيض وهكذا إلى أضعافٍ متضاعفة متكاثرة، ويتناسى أصحاب المزرعة أنّ مزرعتهم يمكن أن يهجم عليها قطيعٌ من الذئاب يفتك بما فيها أو عصابةٌ من اللصوص تسرق ما بها فيفقدون في يومٍ واحد كل ما تعبوا فيه من سنين.

وبعد السجن تكرّم الشيخ علي بزيارة، ثم هاجرتُ من مصر مرغمًا مكرهًا، وأسأل الله أن أعود إليها قريبًا بإذن الله على رغم وكرهٍ من الذين أخرجوني منها (وَقَدْ مَكَرُوا

مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ).

وكانت تأتيني أخبار الشيخ في مهجري إلى أن وافاني خبر وفاته -رحمه الله- وأسأل الله أن يرحم هذا الداعية الزاهد الثابت على الحق، المترفع عن سفاسف الدنيا، والمدافع عن المظلومين والمستضعفين، الذي لم يتراجع ولم يتنازل ولم ينحن لظالم، وأن يلحقنا به على خير غير خزايا ولا ندامى ولا مفتونين ولا مبدلين.

- الشيخ عبد المجيد الشاذلي: لقد عرفت الأخ رفاعي قبل 1965، عرفته أخا وفيا كريما متفانيا في خدمة دعوته على عقيدة أهل السنة والجماعة، لا تفتر عزيمته ولا يكل ولا يمل ويتحمل جميع الأعباء والهموم، وقدر الله أن أعتقل في 1965... وأخرج سنة 1970، وألتقي بالأخ رفاعي سرور مرة أخرى، فإذا به قد سلك طريق الجهاد مع الدعوة، ومضى الأخ رفاعي في طريق الدعوة والجهاد في ذات السنة التي اعتقلت فيها 1965م.

- الشيخ حسن أبو الأشبال: عندنا عالم من العلماء وشيخ له جهاد طويل جدا في الدعوة إلى الله عز وجل ومنابذة الحكام الظالمين، تاريخ مشرق اسمه الشيخ رفاعي سرور، أسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة.

- الدكتور أكرم حجازي: إلى حين وفاته رحمه الله، لم أكن أعرف عن الشيخ رفاعي سرور إلا ما كان يقوله لي زوج ابنته، الأخ خالد حربي، وبعض الإخوة والأصدقاء المصريين، الذين تعرفت عليهم منذ طغت مآسي الأخوات المسلمات في مصر على كل حديث، وخاصة مأساة السيدة الفاضلة كاميليا شحاتة.. فرج الله كربها وكرب أخواتها وإخوانها. وإلى حين وفاته رحمه الله، لم أقرأ للشيخ كتابا، على كثرة كتبه وقيمتها، وكنت أظن أن الوقت ما زال مواتيا للاطلاع عليها أو لقائه عما قريب.. وكدت ألتقيه على غير ميعاد.. لكن سبحان الحي الذي لا يموت!!! وسبحان من يقدر الأقدار ويجمع الأحبة في يوم ميقات معلوم.

بعـد وفاتـه تابعـت مـا يكتب عنـه، وشـاهدت جنازتـه، وما توفـر من الأشـرطة المرئيـة، ودققت قليـلا في بعـض مـا كتـب وقـال.. وأنـا أتفـرس في صورتـه تعجبت مـن تعقيد قسـمات وجهه، وكأنـه بلـغ مـن الدهـر عتيـا، وهـو الـذي قضـى مـن العمـر سـبعة وسـتين عامـا!!! وفوجئـت أن الشـيخ رحمـه الله، عـاش ملحمـة توحيـد في حياتـه، مـن أولها إلـى آخرها.

لعلهـا عقـود المشـقة والجهـد والجهـاد والهمـوم والشـجون والمـرارة التـي أتـت على كل خليـة مـن خلايـا جسـد الشـيخ، ليكـون الاصطفـاء الربانـي، كمـا نحسـبه ولا نزكيـه على الله، رحمـة مـن الله في عبـاده الصادقيـن. وكأن الله سـبحانه وتعالـى يشـفق على هـؤلاء الحـراس، لشـدة مـا يعانـون في حياتهـم، فيجـيء اصطفـاؤه لهـم وكأنـه تكريـم وتخفيـف مـن العنـاء والابتـلاء الـذي قضـوا فيـه أعمارهـم. فـإذا كانـت الحيـاة هبـة مـن الله فالمـوت رحمـة لا يشـعر بهـا إلا مـن طـال بـه العمـر، وأنهكتـه دواليـب الحيـاة!!!

حـارس التوحيـد؛ عميـق الإيمـان.. زاهـد في الحيـاة.. فقيـر في المعـاش.. مطـارد مـن الطغـاة.. ومعـذّب مـن القسـاة.. لا يأبـه لرفعـة أو مكانـة أو جـاه أو منصـب أو مـال أو ابتـلاء.. ولا تفتنـه زينـة الحيـاة حتـى لـو حـاز كل واحـد مـن أهـل الأرض أعظـم نصيـب منهـا.. فهـو قانـع وراض وفـرح ومكتـف بمـا آتـاه الله مـن فضلـه، قليـلاً كان أو كثيـرا!!! لا يعيبـه أو يثنيـه فقـر أو غنـى، ولا يتبـدل أو يتغيـر، ولا يرضـى بغيـر مـا اعتقـد وآمـن، واختـار سـبيله طائعـا، مقبـلا غيـر مدبـر.. صادعـا بالحـق.. عامـلا مـن عمـال الله.. جنديـا مـن جنـوده..

حـارس التوحيـد؛ مسـكنه وحيـه وملبسـه ومظهـره وطعامـه بسـيط خـال مـن ملـذات الدنيـا ومباهجهـا.. لا يهمـه إنْ سـكن أو ملَـكَ قصـرا في القمـم أو عـاش في كهـف، ارتـدى الجـوخ أو الصـوف، أكل الخبـز أو اللحـم، شـرب الشـاي أو العصيـر، شـبع أو جـاع..

حـارس التوحيـد؛ عقلـه وقلبـه ولسـانه وقلمـه في سـبيل الله.. فهـو سـليم العقـل.. طيـب القلـب.. عفيـف اللسـان وواضـح البيـان.. حسـن العشـرة.. ونزيـه الـكلام.. يؤمـن أنـه مسـؤول أمـام الله فيمـا آتـاه مـن العلـم.. مسـؤول عـن ديـن الله.. مسـؤول عـن مصيـر الأمـة.. مسـؤول عـن الصـدع بالحـق.. مسـؤول عـن قـول الحقيقـة.. قـدره أن ينيـر للأمـة

الطريـق.. ويربـي الأجيـال.. ويتربـص بأعـداء الديـن، ويتحمـل الأذى.. وينتصـر للمؤمنيـن.. لا يخذلهـم ولا يحقـرن مـن المعـروف شـيئا.. فتـراه لا يخشـى ظالمـا أو مسـتبدا أو طاغيـة.. لا يلقـي لـه بـالا، رضـي عنـه أو سـخط.. أعطـاه أو منعـه.. أكرمـه أو أهانـه.. ضيّـق عليـه أو وسّـع.. لا يؤمـن بغيـر مـا سـخره الله عـز وجـل لـه.. ولا يسـعى لغيـر مرضاتـه.. ولا يخشـى في الله لومـة لائـم..

حـارس التوحيـد؛ يعيـش داعيـة موحـدا.. شـجاعا وثابتـا وشـامخا.. لا تهـزه أعاصيـر الظلـم البغـي والعـدوان والفتـن والمغريـات.. وكذلـك يمـوت.. وهـو أكثـر مـا يغيـظ أعـداء الملـة والديـن.. ولا يضيـره أن تطالـه يـد الكفـر والطغيـان.. حتـى لـو كانـت تهمتـه كتهمة الشـيخ أنـور العولقـي: مقنـع وذو بيـان!!! أو مجاهـدا صابـرا محتسـبا كالشـيخ جمـال المصراتـي.. أو يقبـع في سـجون الظلـم، بـلا تهمـة إلا مـن كونـه حارسـا للتوحيـد، كالداعيـة الشـيخ أبـو يحيـى، نصيـر الباحثيـن والباحثـات عـن وحدانيـة الله.

حـارس التوحيـد؛ هـو في الديـن موحـد.. وفي الاجتمـاع موحـد.. وفي السياسـة موحـد.. وفي الاقتصـاد موحـد.. وفي التجـارة موحـد.. وفي الجهـاد موحـد.. وفي النصـرة موحـد.. وفي البيـت موحـد.. وبيـن النـاس موحـد.. وفي الحيـاة كلهـا موحـد.. وفي الممـات موحـد.. تـكاد ذريتـه وأهلـه ونسـبه وأصحابـه يكونـون مثلـه أو مـن طينتـه.. فقـد شـهد لـه الناس والأهـل بمـا سـمعوا عنـه أو قـرؤوا لـه أو شـاهدوه عليـه.. وشـهد لـه العلمـاء والأتبـاع والأصحـاب.. وأنـا أشـهد أن مـا قرأتـه عـن الشـيخ ومـا سـمعته وشـاهدته مـن النـاس عنـه ليـس إلا ملحمـة توحيـد عاشـها الشـيخ.. نحسـبه كذلـك ولا نزكيـه على الله..

نسـأل الله عـز وجـل أن يغفـر لـه زلاتـه.. ويتجـاوز عـن سـيئاته.. ويوسـع مدخلـه.. ويتغمـده بواسـع رحمتـه.. ويسـكنه فسـيح جناتـه.. ويلحقـه بالنبييـن والصديقيـن والشـهداء.. نسـأل الله عـز وجـل أن يتقبـل كل موحـد ومجاهـد في سـبيله.. وإنـا لله وإنا إليـه راجعون.

- عبـود الزمـر: الشـيخ رفاعـي علـم مـن أعـلام الإسـلام، وهـو أحـد أسـاتذتي الذيـن تعلمت منهـم في بدايـة حياتـي، وأسـأل الله تبـارك وتعالـى أن يتغمـده برحمتـه، وأنصـح الإخـوة جميعـا أن يهتمـوا بكتبـه ويوزعوهـا ففيهـا مـن الفوائـد الكثيـر.

- **الشيخ حافظ سلامة:** الشيخ رفاعي أمضى عمره في السجون والمعتقلات.

- **الدكتور محمد البلتاجي:** أنا عضو مكتب التنفيذ لحزب الحرية والعدالة، أنا نائب الشعب أمين حزب الحرية في القاهرة، لكن مكانة الشيخ رفاعي سرور رحمه الله في قلوبنا جميعا تفرض علينا هذا الواجب وأن نعزي أنفسنا وأن نشارك في هذا الأسبوع، وقد قرأت كثيرا من كتب الشيخ عليه رحمة الله، واستفدت منها كثيرا، وتعلمنا منها كثيرا، وتربينا على كثير من المعاني التي طرحها، لكن جميع علماء الأمة يؤخذ منهم ويرد إلا صاحب القبر صلى الله عليه وسلم.

- الشيخ مازن السرساوي: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، نعزي الأمة كلها بوفاة هذا الداعية الرباني، ونسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه وأن يخلف على المسلمين أمثاله كثيرين في وقت تحتاج فيه الأمة إلى كثير من الدعاة المخلصين، ونسأل الله أن يعظم فيه الأجر وأن يغفر له ويرفع درجته في المهديين.

- **الدكتور هشام كمال:** الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: أنعي ببالغ الحزن والأسف فقد الأمة الإسلامية اليوم لعالم جليل من علمائهم ورمز كبير من رموزهم؛ فضيلة الشيخ رفاعي سرور رحمه الله تعالى، كان عالما بحق، وكان من أفضل من هم موجودون على الساحة ارتباطا بالوحي القرآن والسنة، وكان يقول فيهما ما لم نسمعه من غيره، وما لم نقرأه لغيره على الإطلاق، كان ثائرا طوال حياته ومات على ثورته ضد الظلم، نسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جناته.

- **الشيخ نشأت أحمد:** عظم الله أجرنا وأجركم، وأسأل الله أن يأجرنا في مصيبتنا وأن يخلفنا خيرا منها، الشيخ رفاعي عرفناه منذ شبابه، كان موهوبا من صباه، وعلى ما أذكر كان عمره تسعة عشر عاما عندما ألف كتابه عندما ترعى الذئاب الغنم، وكان فريدا في فكرته جديدا في عرضه، دل على أن الرجل همه هم الأمة، والهم هو الذي

حملـه على هـذا التأليـف وعلى اسـتنباط واسـتخراج الأحـكام والآداب والتعليمـات التـي تسـتطيع الأمـة أن تنتفـع بهـا في واقعهـا الملمـوس، وكان هـذا سـمته بعـد ذلـك في كل مـا كتـب، ليلـه ونهـاره يعكـف على وحـي ربـه وينظـر في واقـع الأمـة يسـتخرج مـن الأحـكام ومـن الآداب ومـن المعانـي مـن خـلال القـرآن مـا تقـوم بهـا الأمـة، الرجـل عـاش بهـم الأمـة ومـات بهمهـا، سـجن وعـذب ونـكل بـه بسـبب هـذا الاهتمـام الشـديد وهـذا العطـاء الشـديد، وبفضـل الله لـم تلـن لـه قنـاة، رافقتـه في السـجن في عـام 1981م وفي الزنزانـة التـي تجاورنـي في سـجن القلعـة قبـل أن يلغـى، والرجـل كان أثبـت مـن الجبـال، مـا لانـت لـه قنـاة لا في شـبابه ولا في شـبيبته (كـذا قـال ولعلـه يقصـد شـيبته) حتـى أعيـا القـوم ثبـات الرجـل فلمـا لـم يجـدوا حيلـة فيـه أرادوا أن يذلـوه أو يثنـوه عـن ثباتـه بإيذائـه بأقـرب النـاس إليـه فسـجنوا ولـده وسـجنوا زوج ابنتـه ليليـن أمامهـم، فأبـى الرجـل إلا أن يكـون كالرجـل الأشـم، أبـى حتـى زيارتهـم في السـجن، وقـال: حتـى لا أشـعر أننـا لِنـا أو خنـا أمتنـا أو قضيتنـا، لـن يغيرنـا في نصـرة الديـن شـيء، لا نـكال ولا تعذيـب، عرفنـا الرجـل رقيـق القلـب حريـص على دينـه وعلى إخوانـه وعلى علمـاء الأمـة وعلى شـباب الأمـة، عـاش بهـمِّ الديـن ومـات بهـم الديـن وأبـى الله عـز وجـل إلا أن يكرمـه في آخـر لحظاتـه ليلقـى الله في بيتـه وهـو يتوضـأ ليصلـي العصـر، فأسـأل الله أن يتغمـده برحمتـه، وأن يسـكنه فسـيح جناتـه، وأن يأجرنـا في مصيبتنـا، وأن يخلفنـا خيـرا منهـا، وأنصـح الأمـة، الأمـة كان فيهـا رفاعـي سـرور واحـد مـات وعـز أن نجـد لـه بديـل، فأقـول لشـبابنا: التفـوا حـول علمائكـم واحرصـوا عليهـم، هـم الآن بينكـم، وقـد يحـال بينكـم وبينهـم، فاتقـوا الله فيهـم وانتفعـوا بمـا وهبهـم الله مـن علـم ومـن إخـلاص ومـن عطاء.

- **الشـيخ محمـد حسـين يعقـوب:** الشـيخ رفاعـي عرفنـاه مـن كتبـه، لـه كتـب كثيـرة، وأنـا مـا لفـت نظـري إلـى قصـة أصحـاب الأخـدود إلا كتـاب الشـيخ رفاعـي سـرور، وهـو مـن كتـب التأصيـل الدعـوي العميـق، إذا أردت أن تقـرأ كلامـا عميقـا اقـرأ كتـاب قـدر الدعـوة، والشـيخ رفاعـي عليـه رحمـة الله كتـب كتابـه أصحـاب الأخـدود في السـبعينيات، وترجـم لعـدة لغـات، وكتـب كتـاب عندمـا ترعـى الذئـاب الغنـم في حقبـة السـبعينيات أيضـا، والشـيخ وأهـل بيتـه عانـوا الأمريـن مـن أمـن الدولـة والسـجون، منـذ السـتينات وهـو يسـجن عليـه رحمـة الله، وشـرد أكثـر مـن مـرة، وقـد زرتـه في التسـعينيات في بيتـه وجلسـت معـه

أكثـر مـن مجلـس بعـد أكثـر مـن زيـارة، لكـن الشـيخ مريـض مـن زمـان جـدا، فالحمـد لله أن أكرمـه ربنـا، نحسـبه مـن الصالحيـن.

- **الدكتـور عبـد الله الأسـود:** هـذا الرجـل مـا عـرف مـن بقـاع الأرض إلا مسـاجدها، ومـا تقلـب في الأرض إلا لنشـر العلـم، فهـو مـات على مـا كان يحيـا عليـه، مـات وهـو يصلـي صـلاة العصـر.

- **الشـيخ حامـد الطاهـر:** قـال في خطبـة الجمعـة بعـد أن ذكـر خطـورة فقـد العلمـاء: أول أمـس فقـدت أمـة الإسـلام -ولا أقـول مصـر- رجـلا ممـن أثروهـا بالفكـر والعلـم، رجـلا عـاش زاهـدا ومـات زاهـدا، رضـي ألا يعـرف النـاس صورتـه وأن يعـرف ربـه سـريرته، رضـي بـأن يعيـش مطـاردا وأن يعيـش فقيـرا ولكنـه عـاش غنيـا، غنيـا بجهـاده في سـبيل الله غنيـا بقلمـه السـيال الـذي كان يقطـر علمـا، غنيـا باسـتغنائه عـن النـاس، غنيـا بالتجائـه إلـى ربـه تبـارك وتعالـى، وبيننـا وبينهـم شـهود الجنائـز، كانـت جنـازة الشـيخ رفاعـي سـرور شـيخكم في هـذا الحـي واحـدة مـن الجنـازات التـي حضرهـا لفيـف مـن أهـل العلـم، لا فخـرا نقـول وإنمـا بيننـا وبينهـم شـهود الجنـازات، عـاش رفاعـي سـرور وهكـذا العظمـاء تنطـق أسـماؤهم مجـردة، عـاش رحمـه الله مطـاردا مـدة ثلاثيـن سـنة، أمـن الدولـة يطارده وزبانيـة مبـارك يطاردونـه، حتـى في آخـر حياتـه التـي ذاق فيهـا أمـراض السـكري وغيرهـا كان حريصـا على الصيـام وكان حريصـا على القيـام، لـم يرحمـه أولئـك حتـى منـذ سـنتين فاعتقـل رحمـه الله، ومـع ذلـك لـم يكـن يومـا مـن الأيـام يتاجـر بمصابـه ولا يومـا مـن الأيـام يتاجـر بعلمـه، كتبـه قرأهـا أهـل الإسـلام مـن أهـل اللغـات الأخـرى وترجمهـا أهـل الكفـر إلـى لغاتهـم، وبعـد ذلـك مـات رحمـه الله ليلقـى ربـه تبـارك وتعالـى، ونسـأل الله أن يكـون ربـه عـز وجـل قـد رضـي عنـه.

- **الشـيخ سـيد العربـي:** المصيبـة الحقيقيـة في فقـد مثـل الشـيخ رفاعـي ليـس في موت نفـس، فـإن مصيبتنـا في موتـه تذكرنـا بمـوت النبـي صلـى الله عليـه وسـلم فتهـون علينـا مصيبـة فـراق الشـيخ، نسـأل الله أن يرحمـه... لكـن الحقيقـة أن المصيبـة الأكبـر في فقـد أولئـك النفـر مـن دعـاة الحـق الذيـن يوالـون في الله ويعـادون في الله؛ لأن الأجيـال

الآن ربيت على تمييع القضايا وعلى التسوية بين الحق والباطل، بحيث يقال من تكلم في الولاء والبراء وفي حق الله في أن يحكم خلقه (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) ومن بث في الأمة روح الجهاد، هؤلاء نفر يقال عنهم: متطرفون، إرهابيون، تكفير، خوارج، وما أدراكم مما يكون من مثل ذلك، فالمصيبة الحقيقية هي في فقد أولئك الدعاة القليل ما هم، الذين هم قلة شديدة جدا، وهم كالدرهم الأسود في البغلة البيضاء، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «الناس كإبل المائة لا تكاد تجد فيهم راحلة»... وبما أني عاينت الشيخ رفاعي رحمه الله وعاينت أولاده أيضا في آخر مرة اعتقال سنة 2003م، تجد أن الأمر يختلف تماما، هناك دعاة حفظهم الله يهتمون بأن يكون الأمر ترقيق ومواعظ وتذكير بالآخرة، ولكن التربية التي تجعل من المؤمن أمة والتربية التي تحيي فينا روح الجهاد، التي أحب أن أذكر إخواني في مثل هذه المناسبة وهي مناسبة تشييع واحد من أولئك النفر الذين هم مسجلون في أمن الدولة (جهاد)، وشرف له وهنيئا له بهذه الشهادة، لكنهم سيأتون يوم القيامة يشهدون له بأنه كان يدعو إلى هذا ويبث هذه الروح في الأمة، ويعلم الناس مثل ذلك، وهذه مسألة عظيمة.. مما لا تعرفون عنه رحمه الله أنه كان يعزف عن الشهرة، الإخوة القائمون على بعض القنوات حدثوني بالأمس أنهم حاولوا معه مرارا وتكرارا أن ينالوا منه بعض التسجيلات أو البرامج أو الدروس من باب الانتفاع به نظرا لأنه أهل لذلك ولكنه عزف... كان له جهد شديد جدا وكان له روح فعالة لآخر يوم في حياته.

- **الشيخ مرجان سالم:** الشيخ رفاعي سرور من الإخوة العلماء المجاهدين الأفاضل والكتّاب الذين أثروا المكتبة الإسلامية بكتب عظيمة ونافعة، والرجل حتى آخر لحظة من عمره كان له فضل كبير وجهود في التربية والتعليم والتوجيه الشرعي والسياسي، نسأل الله أن يتقبله في الصالحين والصديقين، والشيخ رفاعي من رموز العمل الإسلامي والحركة الإسلامية قديما قبل مقتل السادات في 1981، وكان له مجهود كبير جدا، وكان حتى وهو في السجن ما يزال يبذل هذا المجهود، وبعد أن خرج وبعد أن كبر سنه ما انقطع، بل كان دائما يضع مجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين، والرجل من القامات الكبيرة في العمل الإسلامي، لا شك في ذلك، وموته

خسـارة كبيـرة لنـا، ولكـن نسـأل الله تبـارك وتعالـى أن يبدلنـا خيـرا منـه، فالشـيخ رفاعـي رجـل مـن النمـاذج العظيمـة والمثـل الكبيـرة في الحركـة الإسـلامية، ولـه مجهـود كبيـر ولـه فضـل وكتابـات نافعـة ودروس نافعـة جـدا، أسـأل الله تبـارك وتعالـى أن يتغمـده برحمتـه وأن يحشـره في زمـرة النبييـن والصديقيـن والشـهداء.

- **الدكتـور محمـد يسـري:** بعـد حمـد الله والصـلاة على نبيـه، قـال: فقـد فقـدت الأمـة عالمـا جليـلا وفاضـلا كريمـا كانـت لـه كلمـة مسـموعة، وكانـت لـه مواقـف مشـهودة، وهـو فضيلـة الشـيخ رفاعـي سـرور عليـه رحمـة الله، الـذي عرفـه النـاس بدماثـة خلقـه ورقـة طباعـه وجـودة أفـكاره وحسـن مـا يكتـب ومـا يسـمع النـاس مـن بنـات أفـكاره، نسـأل الله تبـارك وتعالـى أن يرحمـه وأن يرفـع درجتـه وأن يعلـي منزلتـه وأن يخلفـه بخيـر في أهلـه وعقبـه إنـه جـواد كريـم.

- **الدكتـور صفـوت عبـد الغنـي:** نعـزي الأمـة الإسـلامية كلهـا بوفـاة مولانـا الشـيخ رفاعـي سـرور، الشـيخ رفاعـي سـرور نعتبـره أبـا الحركـة الإسـلامية ومـن مؤسسـي الحركـة الإسـلامية، كان لـه مواقـف مشـهودة، كان لـه تاريـخ ناصـع البيـاض، كان لـه فضـل على كل التيـارات الإسـلامية على اختـلاف مشـاربها وتوجهاتهـا، رحـم الله الشـيخ رفاعـي سـرور... كان عالمـا جليـلا وفقيهـا وسياسـيا لـه نظـرة ثاقبـة في الأمـور، لـم أر أحسـن منـه خلقـا، كان خفيـف الظـل سـريع النكتـة والفكاهـة، كان (في السـجن) دائمـا يخفـف عـن إخوانـه وكان أكبرنـا سـنا وكنـت أصغرهـم سـنا، فـكان دائمـا يسـلينا ودائمـا يسـري عنـا، ودائمـا يصيـغ لنـا العبـر والعظـات والتاريـخ بصـورة رقيقـة مهذبـة رحمـه الله، عاشـرناه فلـم نجـد أحسـن منـه خلقـا وأدبـا وفكاهـة ونفسـا طيبـة رحمـه الله.

- **الشـيخ فـوزي السـعيد:** إن أردت أن تسـأل عـن رجـل معجـون بالإخـلاص والصـدق والأدب والتواضـع فهـو الشـيخ رفاعـي، يكفيـه هـذا وهـذا المشـهد (يعنـي الجمـوع الغفيـرة التـي خرجـت في تشـييعه) دليـل لـه إن شـاء الله، نسـأل الله عـز وجـل أن يجعـل أعمالـه كلهـا بحسـن خاتمتـه، إنـه ولـي ذلـك والقـادر عليـه.

- **المهنـدس وسـام عبـد الـوارث:** بعـد حمـد الله والصـلاة على نبيـه، قـال: أعـزي الأمـة وأعـزي نفسـي والمسـلمين بوفـاة شـيخنا الحبيـب الشـيخ رفاعـي سـرور رحمـه الله رحمـة واسـعة، فأنـا أشـهد أمـام الله عـز وجـل -وأنتـم شـهداء الله في الأرض كمـا علمنـا رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم- أن هـذا الرجـل مـن العلمـاء المجاهديـن الثابتيـن الراسـخين في العلـم، والله عـز وجـل يكتـب لـه بـكل كلمـة كتبهـا العلـم الـذي يجـري لـه كصدقـة جاريـة علـم نافـع ينتفـع بـه بعـد موتـه، فكتبـه مليئـة وغزيـرة بالعلـم، بـل تحتـاج مـن يشـرحها ويقدمهـا ويبسـطها للنـاس، فأسـأل الله عـز وجـل أن يتولـى طـلاب علمـه شـرح كتبـه، وأن يغفـر الله لـه وأن يرحمـه، وأن يخلفنـا فيـه وأن يعوضنـا فيـه.

- **الدكتور هاني السباعي:** أخيراً مات صاحب الأخدود:

توفي شيخنا العلامة المجاهد الزاهد رفاعي سرور.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعد:

يقـول الله تعالـى في محكـم التنزيـل: (يَاأَيَّتُهَـا النَّفْـسُ الْمُطْمَئِنَّـةُ ارْجِعِـي إِلَـى رَبِّـكِ رَاضِيَـةً مَرْضِيَّـةً فَادْخُلِـي فِي عِبَـادِي وَادْخُلِـي جَنَّتِـي) الفجـر الآيـات مـن 27 إلـى 30.

ينعـي مركـز المقريـزي للأمـة الإسـلامية وفـاة الشـيخ العلامـة المجاهـد الزاهـد رفاعـي سـرور، عـن عمـر ناهـز 67 عامـا، وذلـك عصـر يـوم الأربعـاء 30 ربيـع أول 1433هـ الموافـق 22 فبرايـر 2012م.، ونحسـب أنـه مـن الأنفـس المطمئنـة التـي رجعـت إلـى ربهـا راضيـة مرضيـة ولا نزكيـه على خالقـه.. فإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون.

إن للمـوت للوعـة! وفرقـة وحرقـة! وإنـه لمصيبـة بحـق! فهـو هـازم اللـذات ومفـرق الأحبـة! لكـن رغـم هـذه اللوعـة والفرقـة وهـول المصيبـة! فـإن ربنـا قـد علمنـا في كتابـه الكريـم (الَّذِيـنَ إِذَا أَصَابَتْهُـمْ مُصِيبَـةٌ قَالُـوا إِنَّـا لِلَّهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ) البقـرة: آيـة 156.

نعـم قـد دهشـنا لمصيبـة المـوت! وإنـا لمحزونـون لفـراق شـيخنا! فقـد كان علمـاً وبركـة وتواضعـاً يمشـي على الأرض.. فالدعـوة الإسـلامية قـد خسـرت ابنـاً مـن أبنائهـا الأبـرار وعلمـاً مـن أعلامهـا الأخيـار.

وأحسب أن قول الشاعر قد صدق فيه:

فما كان قيسُ هُلكهُ هُلك واحد ولكنه بنيانُ قوم تهدما

ولكن رحم الأمة ولود والحمد لله.. نسأله سبحانه أن يخلفنا في شيخنا خيراً..
فلا يزال طيف صوته هامساً في مسمعي! ولا تزال كلماته الصادقات وأفكاره النيرات ماثلة أمام ثنايا رثائي له! حتى ضحكاته وقفشاته الحلوة وأنا أداعبه بأسماء كتبه وهو يضحك ويبادلني القفشات البريئة! ثم يعود بي إلى السؤال عن أحوالي، ويقول لي: لو عدتَ إلى مصر إن شاء الله سأكون من أول المستقبلين لك في المطار! فقلت له: لو رجعتُ بإذن الله إلى مصر إن شاء الله سأذهب إليك وأضمك في صدري!

ثم يبادلني مشاعر في غاية السمو والأدب الرفيع والثناء الجميل الذي كان يخجلني به! وأقول له: شتان شيخنا بين الثرى والثريا! فأنت نجم في سماء الحركة الإسلامية! فمنذ أيام قلائل كنا نتبادل هموم الأمة وأطراف الحديث في موضوعات عامة وخاصة!

وأذكر أيضاً أنه منذ أسابيع معدودات كان هناك لقاء ثلاثي عبر الهاتف لأكثر من ساعة بيني وبينه ومعنا فضيلة الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم، حول مشروع التيار السني لإنقاذ مصر؛ كان رحمه الله مهموماً بمصير الأمة! كان مشغولاً بلملمة الجراح وتوحيد تيار نقي يقف أمام انهيار المتراجعين الذين ألهتهم صناديق الاقتراع عن ثوابت عقيدتهم! كان بيته مفتوحاً لأبناء الحركة الإسلامية على اختلاف مشاربهم! لم لا؟! وكنا نعده من آخر علماء مصر المحترمين.. لم لا؟! لكن قدر الدعوة في فقد أبنائها الأوفياء!..

كان رحمه الله عالماً موسوعياً صحيح الاعتقاد حلو المعشر، يقطر صوته خجلاً وتواضعاً! تجلس معه تشعر أنك قد آويت إلى كهف رحمة وتحنان! أب حنون، وأخ شفوق، ورفيق درب لا تمل صحبته!

أسـد هصـورُ في الحـق! ذلـولُ رؤومُ ليـنُ الجانـب لأهـل دينـه.. كبيـرُ منـذ أن عرفتـه الحركـة الإسـلامية وعرفهـا.. لـم تلـده فضائيـةُ مدغدغـةُ للمشـاعر! وُلـدت دعوتـه في رحـم المحـن والسـجون والمطاردة!..

لقـد غيبـه الطغـاة أكثـر مـن ثلاثيـن سـنة عـن الحديـث مـع النـاس! حتـى ظـن الوليـد الجديـد أن شـيوخ الفضائيـات هـم شـيوخ الإسـلام وأعلامـه! لكنهـم شـيوخ النظـام وأزلامه! وعلى أيـة حـال فقـد أبـى الله إلا أن يحصحـص الحـق ويبقـى مـا ينفـع النـاس.. ويخلـع الله وحـده الباطـل وحزبـه في ثـورة 18 مـن صفـر 1432هـ الموافـق 25 ينايـر 2012م.. ثـم هـا هـو ذا شـيخنا الصابـر المبتلـى يطـل على اسـتحياء في فضائيـة إسـلامية في مقابلـة أو مقابلتيـن! وقـد صارحنـي بعـد ظهـوره أنـه كان كارهـاً رغـم جهـره بالحـق! لكـن لله في خلقـه شـؤون.. فلـم نسـتمتع بشـيخنا طويـلاً!

وكان مـن عجائـب قـدر الله أنـه شـرفني بكتابـة مقدمـة لكتابـي «مصـادر السـيرة النبوية» وكان قـد كتبهـا فجـر عرفـة العـام المنصـرم 1432هـ.. ولـم أكـن أعلـم أن هـذه سـتكون أول وآخـر مقدمـة يقدمهـا لـي شـيخنا العلامـة رفاعـي سـرور!

أتته المنايا حيـن تـم تمامـه ... وأقصر عنه كل قرن يطاوله
وكان كليث غاب يحمـي عرينـه ... وترضى به أشباله وخلائله
غضوبٌ، حليمٌ، حين يطلب حلمه ... وسمُ زعافُ لا تصاب مقاتله

وسـبحان الله، كنـت أتحـدث أمـس الثلاثـاء مـع نجلـه المهنـدس عمـر وأحسـبه أسـداً مثـل أبيـه.. نسـأل الله أن يحفظـه.. الـذي أفـرج عنـه العـام الماضـي بعـد الثـورة، وقلـت لـه: لا تنـس أن تعطـي شـيخنا والدكـم نسـخة مـن كتابـي هديـة! فضحـك عمـر، وقـال: أنـا أخـذت النسـخة مـن عنـده أصـلاً! ثـم لـم تمـر إلا سـاعات حتـى نعـى الناعـي وفـاة شـيخنا! فدهشـت وحبسـت العبـرة وخفـق الفـؤاد؛ إذ لـم أجـد إلا أن أقـول مـا يرضـي الـرب، فإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون.

وبعد هذه التقدمة السريعة أقول أيضاً:

لقد كان شيخنا العلامة رفاعي سرور من العلماء القلائل الصداعين بالحق الثابتين على المنهج، فلم يدخل في دين الطاغوت ولم يتراجع قيد أنملة عن الحق.. وقد كنا قد كتبنا بياناً منذ 7 سنوات نستنكر فيه اعتقال قوات أمن الطاغية المخلوع لشيخنا رفاعي سرور في ذلك الوقت! وها نحن أولاء نعيد تسليط الضوء على جانب من هذه الشخصية الفذة ليعرف الشبيبة أن شيخنا كان من أنفس معادن الرجال:

أولاً: الشيخ العلامة رفاعي سرور من الرعيل الأول للحركات السلفية ذات التوجه الجهادي، ويعد من العلماء القلائل الذين صدعوا بالحق في وجه الطغاة، وتحملوا تبعة قولة الحق بالسجن والتعذيب والتضييق في الرزق، وفرضت عليه إقامة شبه جبرية لسنوات طويلة وهو صابر محتسب مع زهد وقناعة وحسن عبادة، ولا نزكي على الله أحداً.

ثانياً: ابتلي شيخنا رفاعي سرور بالسجن طيلة عمر الحركة الإسلامية الجهادية منذ منتصف الستينات وحتى وقتنا الحاضر. كان الدكتور أيمن الظواهري يبجله ويكن له خالص الاحترام؛ إذ إنه قد تعرف عليه في سنة 1975م وكان يقول: لقد تعلمت واستفدت منه كثيراً.

ثالثا: كان شيخنا رفاعي سرور ضمن الإسلاميين المتهمين في القضية رقم 462 لسنة 1981م حصر أمن دولة عليا، المعروفة باسم قضية تنظيم الجهاد، وكان مثالاً للأسد الهصور والشيخ الصبور الذي لم ينثن للطغاة ولم يركع إلا لله، حتى ضاقوا به ذرعاً فحرضوا بعض السفهاء للشغب على فكره وعلمه، وقد خاب مسعاهم وخرج الشيخ رفاعي سرور نقياً صافياً حيث فرضت عليه المراقبة اللصيقة، وكان من قبل قد قرر أن يعتزل العمل التنظيمي فكان يعكف على تأليف بعض الكتب النافعة والتحقيقات الجادة رغم حالته المادية الصعبة؛ إذ لم يشتك لأحد، وكان الناس يتعجبون من صبره وجلده ومواظبته على الصيام حتى أصيب ببعض الأمراض؛ كالسكري والكلى ومرض هشاشة العظام.. وظل هكذا حتى صعدت روحه إلى ربها.. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

رابعاً: لقد ترك شيخنا رحمه الله للمكتبة الإسلامية نفائس فكرية وعقدية كانت ولا تزال زاداً للشبيبة وللأجيال القادمة بإذن الله، ومن أهمها:
(أ) كتاب عندما ترعى الذئاب الغنم: وهو من جزأين وهو في غاية الروعة، ومترجم إلى عدة لغات أجنبية، ألفه في بداية حقبة السبعينات.

(ب) كتاب أصحاب الأخدود: رغم صغر حجمه إلا أن الله وضع البركة في هذا الكتاب الذي طبع في السبعينات وحتى وقتنا الحاضر وترجم إلى عدة لغات، وقد ألفه شيخنا عام 1966 وهو ابن ثمان عشرة سنة.

(ج) كتاب قدر الدعوة: من الكتب القيمة التي ينبغي على أي داعية إسلامي أن يقرأه، وله كتابان في نفس السياق اسمهما (حكمة الدعوة) وكتاب (بيت الدعوة)..
(د) كتاب علامات الساعة: وهو دراسة تحليلية لعلامات الساعة: وهذا الكتاب لا يوجد له نظير في العصور القديمة ولا الحديثة؛ إذ لم يؤلفه على طريقة القدماء، بل غاص في مسائل تحليلية وأجاب ببراعة عن إشكاليات وملابسات في غاية الأهمية. هذا الكتاب منشور من جزأين وترجم إلى اللغة الإنجليزية.

(5) ومقالاته القيمة: الحاكمية والحرب الصليبية.. ملامح المنهج السلفي في المواجهة مع التنصير.. الحد بين الرأي والحرب.. الحرب على الشريعة.. «طلب الاعتذار» بدعة نصرانية وضلالة سياسية.. الشواهد النفسية على شرك القبور.. إبليس والصليب، وغيرها من مقالات رائعة ماتعة.

صفوة القول:
نعم إن الموت حق! وكل نفس لا محالة ذائقة الموت؟ نعم! لقد توفي شيخنا العلامة صاحب الأخدود ولا تزال الذئاب ترعى الغنم!! لكن كتاباته وكلماته ستظل حية بإذن الله كحياة كلمات أستاذه الشهيد سيد قطب رحمهما الله.. وبإذن الله سيأتي اليوم الذي تفر فيه الذئاب وتهيم في الفيافي والمفاوز مذعورة تائهة هالكة.. وتنعم الغنم في مراعيها ومراتعها بدون خوف وهلع.. أليس الصبح بقريب؟!

اللهم إنا نشهد أن عبدك شيخنا العلامة أبا يحيى رفاعي سرور قد ظلمه طواغيت مصر على مدار خمسين سنة.. اللهم إنا نشهد أنهم زجوا به ظلماً في السجون وضيقوا عليه وعلى أهله.. فكانت حياته بين السجن والإقامة الجبرية واعتقال أبنائه يحيى وعمر وحتى أصهاره..

اللهم إنا نشهد أنه كان صحيح الاعتقاد حريصاً على نشر دينك والذب عن شريعتك..
اللهم إنا نشهد أنه لم يدخل في دين المتراجعين عن الحق!
اللهم إنا نشهد أنه كان من العلماء العاملين المبتلين الصابرين الثابتين..
اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تغفر له وترحمه وتنزل عليه شآبيب الرحمة والرضوان.. اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده وأدخلنا معه في الصالحين.

اللهم أسكنه الفردوس الأعلى وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله..
اللهم ألهم أهله الصبر والسلوان.. وألحقنا به وأنت راض عنا يا غفور يا رحمن!
اللهم آمين..

مركز المقريزي للدراسات التاريخية، لندن في يوم الأربعاء 30 ربيع الأول 1433هـ 22 فبراير 2012.

- الدكتور طارق عبد الحليم: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تلقيت هذا الخبر، الذي يتوقعه كلّ حيٍّ عن كلِّ حيٍّ، وفاة الشيخ الجليل، وبقية السلف الصالح، الأخ العلامة رفاعي سرور «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» آل عمران 185، والشيخ الجليل من أقراني في العمر، فوالله ما كنت أحب إلا أن يكتب هو عزائي، فإن في هذا شرف لي ولأمثالي. ولكن قدر الله سابق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
وقد عرفتُ الشيخ رفاعي رحمه الله منذ السبيعنيات، حين كنا، كلنا، في معترك

تلـك الفتـرة الفريـدة في طبيعتهـا، مشـغولون بالدعـوة، وبالـرد على المدّعيـن، وببيـان الحـق وتأصيلـه. وكان رفاعـي رحمـه الله، كمـا كان يـوم أن توفـاه الله، قويـاً في الحـق، ثابتـا عليـه، واعيـا لـه، رغـم مـا لقيـه مـن اضطهـادٍ وظلـمٍ واعتقـال، لـن يؤثـر في حديثـه ولا توجهـه ولا هدفـه، كمـا فعـل بآخريـن ممـن راجعـوا فتراجعـوا. وقـد قـاوم الطغـاة ووقف في وجـه الكفـر، وبيّـن التوحيـد، وأزال الشـبهات، جـزاه الله عـن الأمـة خيـراً.

كان آخـر حديـث لـي معـه منـذ عـدة أسـابيع، ومعنـا الشـيخ الفاضـل هانـي السـباعيّ، حيـث تدارسـنا موضـوع مصيـر الدعـوة في مصـر، وانطـلاق التيار السـنيّ لإنقـاذ مصـر، وأمور عديـدة، تـدور كلهـا على الدعـوة ومجالاتهـا.

وكان الشـيخ الجليـل رحمـه الله، كعادتـه، أديبـاً، مهذبـاً، وقـوراً، ظريفـاً، لا يـكاد يُنهـي جُملـة مـن القـول إلا وأنـت تنتظـر أفضـل منهـا وأحكـم. يؤثـر في السـامع، بقوله وإشـارته، وهيبتـه، وعلمـه، فـلا يُمـلّ مـن حديثـه ولـو اسـتوعب الليـل والنهـار.

لا أجـد في هـذا المقـام أفضـل مـن أن أرجـو أن يكـون شـيخنا رحمـه الله ممـن قـال الله تعالـى فيهـم: (وَنَزَعْنَـا مَـا فِي صُدُورِهِـمْ مِـنْ غِـلٍّ تَجْـرِي مِـنْ تَحْتِهِـمُ الْأَنْهَـارُ وَقَالُـوا الْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّـذِي هَدَانَـا لِهَـذَا وَمَـا كُنَّـا لِنَهْتَـدِيَ لَـوْلَا أَنْ هَدَانَـا اللَّهُ لَقَـدْ جَـاءَتْ رُسُـلُ رَبِّنَـا بِالْحَـقِّ وَنُـودُوا أَنْ تِلْكُـمُ الْجَنَّـةُ أُورِثْتُمُوهَـا بِمَـا كُنْتُـمْ تَعْمَلُـونَ) الأعـراف 143.

رحم الله الشيخ الجليل رفاعي سرور، وألهم أهله وأبناءه الصبر والسلوان.

- وكتبـت ابنتـه ولاء: شـيخي الجليـل.. لـن أجـرُؤ فأقـول: سـأكملُ مـا بـدأت؛ فقـد وهبـك الله شـيئًا يسـتقر في قلبـكَ؛ فيدفعـك دفعًـا للعمـل، وتُـرزق بـه العلـم والحكمـة.. رزقـك الله التقـوى التـي لمسـتها في حياتـي معـك؛ فوهبـك الله على أثرهـا العلـم والحكمـة: (وَمَـنْ يَتَّـقِ اللَّهَ يَجْعَـلْ لَـهُ مَخْرَجًـا وَيَرْزُقْـهُ مِـنْ حَيْـثُ لَا يَحْتَسِـبُ).

وكتبت ابنته رقية: ماتت سرج الليالي.. مات الدفء الساري.

خمس سنوات ذهبن منذ وفاة شيخنا العلامة رفاعي سرور.

مات الذين علمونا الحزن على تقصيرنا والصبر على إخواننا.

توقفت نسائم العلم والإيمان عن الهبوب من قبل ديارهم.

وإنني لا أبكي أرضاً لن أطأها ولا ديارا لن أرتحل إليها بعد.

ولكنني أبكي الحق الذي قل ناصروه والعلم الذي ارتفع حاملوه

أبكي عيوناً طالما حملت هم الدين..

وقلوباً طالما نبضت بحب المؤمنين.

أبكي هماً لم يفارقهم حتى فارقوه..

وديناً هو حملهم قبل أن يحملوه..

ثم وفاهم الدين أضعافاً..

حب المؤمنين وتعلق قلوب العارفين وشوق الصالحين ودعوات المقربين.

أبكي رجالاً على درب الرسول والألى العدول..

أبكي الوحي الذي احتملوه والفهم الذي تضلعوه..

أحوالهم كانت رقيقة وقلوبهم كانت رقيقة.

وإني كنت أعد الوحي يجري في عروقهم مجرى الدم.

حتى خالط اللحم والعظم.. لله درهم من رجال.. انقطع بعدهم المثال.

وإن أهل السنة من بعدهم لفي ضيعة إلا من رجال أخذوا الأمر عنهم في آخر المجال..

فما فرطوا فيه وما ضيعوه إن شاء الله.

فنحن لسنا أهل اللطميات على من مات.. وإنما أهل العمل والقيام بالمهمات..

ماتوا وقد أشرقت شمس الحرية .. وهبت رياح التغيير هازمة عتية.

وهم كانوا أهلها وصناعها وأبطالها الذين عملوا في الظل طوال عمرهم.

((فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ))..

الآن فقط عدت من عند حبيبي الشيخ العلامة رفاعي سرور.

والذي كنت أعد له في المجلس القصير عشرات بل مئات الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد رزق فهماً فذاً لا نظير له فيمن رأيت وسمعت..

يعلمنا ويؤدبنا وينصحنا ويستمع إلينا ويعفو عن زلاتنا..

خفيف الظل رقيق المعشر طيب الكلام..

لا تستخفه كلمة مدح ولا تسوؤه كلمة ذم..

ولا يطلب التعظيم والتقديس والتقبيل والتبجيل..

ولا متكلفاً ملبساً ولا مطعماً ولا كلاماً ولا تواضعاً ولا شيئاً..

ولا طالباً مكسباً ولا فيئاً..

محتسباً عند الله وقته كله وجهده كله وعمره كله..

كان دائماً ما يقول لنا قبل الثورة: حافظوا على إخوانكم فهم كالكنوز تدفن تحت الأرض حتى لا تضيع..

وكان آخر ما قال لنا حين زرناه منذ أسابيع: إنه يخشى أن يحرم استكمال تفسير القرآن بعلم المناسبة؛ لانشغاله بأحوال السياسة، والأحداث بعد الثورة، وتجميع الناس لنصرة الشريعة ولنصرة الشيخ حازم أبو إسماعيل، وكان أول من دعا لمبايعته على الشريعة -لا انتخابه فقط-.

وكان آخر ما قلت له في آخر لقاء به منذ أيام: حدثنا يا شيخ رفاعي فإنا لا ندري أتفارقنا أم نفارقك؟!..

ولكنني عدت هذه المرة غير كل مرة.. عدت بعد أن رأيته لآخر مرة..

لكنه ما زال قابعاً هناك في قلبي وبين حنايا نفسي..

حتى ألقى الأحبة محمداً وصحبه..

وإني لأرجو الله أن ألقاهم على خير..

والله يغفر لي ذنبي وتقصيري..

رحمك الله يا شيخ رفاعي..

وعلى مثلك تبكي والله البواكي يا سيد العلماء العاملين..

ولله الأمر من قبل ومن بعد، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحابته الطيبين

ومـن اتبعهـم إلـى يـوم الدين.

- هاني التركي: كان القرآن والمسجد

أمريـن عظيميـن في حيـاة الشـيخ رفاعـي رحمـه الله، فتوفـاه الله في المسـجد بعـد قـراءة القـرآن، وكان رمضـان عنـد عمـر أمـرًا عظيمًـا جليـلاً، فاستشـهد في رمضـان في ليلـة 25 مـن رمضـان، وكان دائمـا يحضنـا على الاجتهـاد في تلكـم الليالـي، أسـأل الله أن يغفـر لهمـا وأن يتقبلهمـا وأن يلحقنـا بهمـا على خيـر غيـر مبدليـن ولا مفرطيـن، فلينظـر أحدنـا كيـف سـتكون خاتمتـه.

شهادات في حقه:

الدكتـورة رقيـة رفاعـي سـرور: في مثـل هـذا الشـهر في 2012 توفـى والـدي رفاعـي سـرور رحمـه الله..

آخـر كلمـات سـمعتها منـه كان على بـاب الشـقة قبـل نزولـه لصـلاة العصـر -التـي تـوفي فيها - :

أراك متضايقة.. جهزي نفسك لأسفرك إلى الإسكندرية..

انتظرته وما يعد..

أتذكر آخر كلماته وكل كلماته وأعيش بها وقودا يعين نفسي على البقاء..

كيف يكون مثله إرهابيا متوحشا وقد بكاه كل من عرفه وكل من سمع عنه ومنه..

كيـف يكـون مجرمـاً يتاجـر بدمـاء الشـباب وهـو الـذي ربـى أبنـاءه هـو على فكـره وكانـوا أول المبتليـن، وبـدلا مـن أن يقطـف ثمـار أيديهـم سـتة أطبـاء ومهندسـين، صـار يتابـع زيارتهـم في السـجون عشـر سـنوات في عهـد مبـارك!

كيـف يكـون صاحـب مصلحـة وهـو الـذي تـوفي ولـم يقطـف أي ثمـار دنيويـة، بـل عـاش على الكفـاف ومـات عليـه..

كيـف يكـون مريضـا بكراهيـة المجتمـع وقـد خـرج هـذا المجتمـع بـكل أطيافـه في جنازتـه، حتـى إحـدى الفتيـات التـي كانـت على وشـك التنصـر وقتهـا!

كيـف لمثلـه أن يوصـف بالجهـل وإشـعال الفتنـة وهـو مـن ألّـف مصنفـات يعـاد طبعهـا منـذ سـتين عامـاً وترجمـت الـى عـدّة لغـات، ولـم يجـرؤ أحـد على نقدهـا نقـدا علميـا وفكريـا ومنهجيـا اللهـم إلا مـن بعـض الـردح والسفسـطة على التـوك شـو..

كيـف لمثلـه أن يوصـف بنشـر الكراهيـة وتلـك البسـمة التـي لـم تفارقـه والتـي يحيـي بهـا الله قلوبـاً منهكـة إلـى يومنـا..

سـلوا طرفتـه ونكاتـه التـي أضحـك بهـا الجميـع مـن إخوانـه في أوقـات الحبـس والتعذيب حتـى اشـتهر بذلـك، فطلـب منـه ضابـط التحقيـق ذات مـرة نكتـة، كمـا يضحـك أصحابـه و يسمعهم !

سـلوا محمـد رفاعـي سـرور شـماس الكنيسـة الـذي رأى حبـاً لـم يـره إلا في عيـن الإرهابـي المتوحـش فأبـى إلا أن يحمـل اسـمه ويمـوت بـه!

سـلوا إفطـار الصائميـن في المسـجد المجـاور والـذي كان يقـف عليـه بنفسـه حتـى صـارت سـنّة في المنطقـة كلهـا، وصـارت البيـوت تتنافـس في تجهيـز طعـام الصائميـن وإحضـاره للمسجد..

سـلوا عائلـة كبيـرة أبنـاء وحفـدة كيـف كان يشـع أمـلاً وإيجابيـة وحسـن ظـن بينهـم في أحلـك الظـروف الماديـة والمعنويـة، حتـى صـار أيقونـة الفـأل والثقـة رغـم كل الشـدة والبـلاء.. وسـلوا كل مـن سـأله يـوم: كيـف ربيـت كل هـؤلاء؟!

سـلوا بنيـه كيـف كانـوا صغـاراً في السـابعة والعاشـرة وقـد تعلمـوا معاونتـه في حـل مشـاكل البيـوت وعـلاج مـس الشـيطان ودعـم أهـل البـلاء!

سـلوا جسـده المتعـب المنهـك والـذي اكتسـب وزنـا وبدانـة مـن سـجون الانفـرادي والجلـوس لسـنوات بيـن أربـع حيطـان، فعـاش يكافـح القلـب والصـدر حتـى تـوفي!

سـلوا شـعره الأشـيب الـذي حاولـت أن أصفـره أو أحمـره فأبـى إلا أن يتركـه ليذكـره بالرحيـل! ثـم سـلوا الله لـه العفـو والمغفـرة..

- محمد عبد العزيز الهواري كتب في حسابه على الفيس بوك:

أكثـر مـا كان يميـز الشـيخ رفاعـي سـرور -رحمـه الله- أنـه كان واحـد مـن النـاس، فلـم يكـن يميـز نفسـه بشـيء غريـب عـن عمـوم المصرييـن، لا في ملبـس ولا هيئـة ولا طريقـة كلام.

تلمـس ذلـك خاصـة لـو سـرت معـه في منطقتـه، فلـم يكـن غريبـا عنهـم، مـن الطبيعـي وأنـت ماشـي معـاه تلاقـي سـت كبيـرة ولا بنـت صغيـرة ولا رجـل مسـن يناديـه ويقـف معـاه على جنـب وكأنـه يقـف مـع قريـب لـه، تشـعر أن النـاس تحترمـه لكـن تحبـه أكثـر مـن احترامهـا لـه، فزالـت بينهـم الكلفـة.

تستشـعر معـه حديـث أنـس بـن مالـك، يقـول: «بينمـا نحـن جلـوس مـع النبـي صلـى الله عليـه وسـلم في المسـجد، دخـل رجـل على جمـل، فأناخـه في المسـجد ثـم عَقَلَـه، ثـم قـال لهـم: أيُّكُـم محمـد؟ والنبـي صلـى الله عليـه وسـلم متكِـئٌ بيـن ظهرانَيْهِـم».

فالرجـل لـم يعرفـه مـن قبـل، ولا يـرى شـيئا يميـزه عمـن حولـه مـن مجلـس أو ملبـس وهيئـة، وهكـذا يكـون العلمـاء والدعـاة، وهكـذا كان الشـيخ رفاعـي سـرور -رحمـه الله- بسـيط محبـوب واحـد مـن النـاس.

وكتـب: مكثـت مـع الشـيخ أكثـر مـن عشـر سـنوات في جلسـات خاصـة، مـا سـمعته مـرة وصـف بكلمـة الكفـر أحـدا.

بل كان رجل يهتم بالأفكار أكثر من الأشخاص.
أما على الجانب الروحي فأحسبه كان وليا من أولياء الله الصالحين.

الخاتمة:

وبعـد: فإنـي أقـر في الختـام بـأن مـا جمعتـه عـن الشـيخ رفاعـي لا يشـفي عليـلا ولا يروي غليـلا، ولكـن هـذا مـا قـدرت عليـه، وهنـا أمـر يجـب التنبيـه إليـه وهـو أن تراجـم العلمـاء والمجاهديـن يجـب أن تحفـظ، ومـن العقـوق بهـم أن تضيـع سـيرهم وقصـص جهادهـم ودعوتهـم وصبرهـم، وإنـه مـن المؤسـف حقـا أن يمـوت رجـال بذلـوا الغالـي والنفيـس في الدعـوة إلـى الله تبـارك وتعالـى والجهـاد في سـبيله ولهـم مئـات التلاميـذ وربمـا الألـوف ثـم لا تجـد في تراجمهـم إلا شـذرات ونتـف متناثـرة هنـا وهنـاك، هـذا عقـوق قبيـح يجـب أن يُقضـى عليـه، وخـذ مثـالا على ذلـك الشـيخ فـوزي السـعيد رحمـه الله، فهـو قائمـة في العلـم والصبـر والتعليـم ومحاربـة الطواغيـت، ثـم لا تجـد اليـوم كلامـا وافيـا عنـه.

وقـد كان ولا يـزال يحـز في نفسـي أنـي أقـرأ أسـماء أعـلام عظـام في الجهـاد والدعوة في سـورية ممـن قتلهـم الهالـك حافـظ الأسـد، ثـم لا أجـد إلا كلمـات يسـيرات عنهـم، وقـد ماتـت وللأسـف كثيـر مـن سـيرهم بمـوت مـن حضـر مواقفهـم وشـهد صبرهـم وجهادهـم وتعليمهـم، هـذه ظاهـرة يجـب أن تغيـب مـن حيـاة الأمـة، فسـير الصالحيـن نعـم العـون للعبـد في طريقـه إلـى الله.

كمـا أن غايـة اهتمامـي في هـذا السـفر كان جمـع كل مـا تصـل إليـه يـدي مـن أخبار الشـيخ ومواقفـه، ولـم أولِ اهتمامـا للتعليـق عليهـا؛ لأن ذلـك ممـا يمكـن أن يؤتـى بـه لاحقـا بعد أن تجمـع هـذه المعلومـات التـي يخشـى مـن ضياعهـا، مـع أن في أخبـار الشـيخ وأفـكاره مـن الفوائـد العظـام الشـيء الكثيـر، وخاصـة قولـه: لا صـراع مـع مسـلم، وقصتـه عندمـا قـال لمـن علـق لائحـة: لـو طلبـت منـي تعليقهـا فلـن أفعـل ولـو علقتهـا لـن أزيلهـا، فلـو عملـت الجماعـات الإسـلامية والحـركات الجهاديـة بهـذه الحكمـة ووجهـت حرابهـا لصـدور أعدائهـا فقـط لحصلـت خيـرا عظيمـا وقصـرت عمـر الطاغـوت الـذي يقتـات على تفرقهـا وانشـغالها ببعضهـا، فإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون.

وعـود إلـى مـا كنـا فيـه، فقـد شـن أعـداء الله حمـلات مسـعورة لتشـويه سـيرة الشـيخ رفاعـي وصـد النـاس عـن كتبـه، فـزاده الله رفعـة، وتعـرف أنـاس إلـى كتبـه، لـم يكونـوا

على علـم بهـا مـن قبـل، ومـا هـذا الكتـاب إلا ثمـرة مـن ثمـار تلـك الحمـلات التـي أرادت إطفـاء لنـور الحـق في كتـب الشـيخ، ولكـن يأبـى الله إلا أن يتـم نـوره ولـو كـره الكافـرون.
وليكن ختامنا مع قصة طريفة في هذا الشأن، ذكرتها ابنة الشيخ:
تقـول ولاء: في يـوم مـن الأيـام كانـت كتـب الشـيخ تـودي بحاملهـا إلـى السـجن، فقـط لمجـرد حيازتهـا.

ومـن المواقـف المضحكـة أنهـم قبضـوا على أخ في الشـارع ومعـه كتـب الشـيخ، وهـذا الأخ كان نصرانيـا وأسـلم، لكنـه لمـا يغيـر بطاقتـه.
فلمـا نظـر الضابـط الـذي قبـض عليـه في بطاقتـه رأى الاسـم عـزت إسـحاق، الديانـة مسـيحي، فقـال لـه: سـتصيبني بالجنـون مسـيحي ومعـك كتـب رفاعـي سـرور، كيـف ذلـك؟!

الآن كتب الشيخ رفاعي تُدرس لطلبة جامعة في إسطنبول.
الآن كتـب الشـيخ رفاعـي منهـا مـا قـد تُرجـم إلـى الإنجليزيـة ومنهـا مـا قـد ترجـم إلـى لغـات أخـرى مثـل الماليزيـة..

الآن كتابـات الشـيخ رفاعـي وكلماتـه تتناقلهـا الألسـنة والصفحـات والمواقـع بانتشـار لـم يتوقعـه أعـداؤه لمـا منعـوا نشـرها!

الحقيقة أن الشيخ رفاعي رفض الظهور الإعلامي..
رفض المساومات في دينه والتنازل عن مبادئه وما يؤمن به..
آثر حياة الفقر والبعد عن الشهرة طيلة حياته.
فكان أن قدر الله أن تسير الأمور كما ترون الآن.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.
وكان الفراغ من جمع هذا الكتاب في 20 / 11 / 1442 هـ الموافق 30 / 6 / 2021م.
مدينة إدلب حرسها الله.